مقدمة

شكّلت الاستعارة أهم الموضوعات التي شغلت المفكرين، والبلاغيين والنقاد على مر العصور، فقد كانت مجالا جاذبا نظرا للدور الذي تلعبه في نقل معاني النص باعتبارها ركيزة أساسية من ركائز الخطاب، لهذا كانت الدراسات تهدف إلى كشف كنهها وفهم آليات اشتغالها. ورغم الاختلافات في وجهات النظر والمنطلقات إلا أن الأسس التي حكمت رؤية الاستعارة تقليديا كانت ثابتة، بحيث ارتبطت في أذهاننا باعتبارها مجال البلاغيين والأدباء، وبوصفها ظاهرة لغوية يتم فيها استخدام لفظ عوضا عن لفظ آخر على أساس التشابه بين طرفيها، غير أن وجهة نظر البلاغة الجديدة جعلت الاستعارة تؤدي دورا تواصليا فنحن نعيش، ونتواصل، ونحيا ونتعامل بها يوميا وإن كنا لا نشعر بذلك. إن الاستعارة تعمل على تنظيم معارفنا وسلوكات حياتنا، وتكشف أشكال التفاعل داخل المجتمع فنفهم بنيته ونظامه.

ولتحقيق ذلك سنستند في منهج مقاربتنا إلى الإقرار مبدئيا بأن الاهتمام بالاستعارة هو اهتمام قبل كل شيء بالذات البشرية، فهي تحمل كل ممارساته الاجتماعية والإيديولوجية والثقافية، وتعكس تفكيره وتمنح له نسقا لفهم الأشياء وطريقة اشتغالها ذلك أن الأمر ها هنا أعمق من أن يقتصر على أنها مجرد زخرف لفظي أو وسيلة مجانية ما دامت الاستعارة لا ترتبط بالجانب اللفظي أو اللغوي فحسب بل تقترن بالذهن وبالعلاقات الفكرية والتخمينية التي يقوم بها كل من المتلقي أو المستمع.

ولعل من أهم مظاهر التفاعل حظوة بتنظير معرفي للاستعارة نخص بالذكر مجموع تفاعلات الإنسان الجسدية والبيئية مع عالمه، لذا فهو يتوسل بها لأجل غايات وأهداف، وهذا الجانب ظل مغيّبا مدة من الزمن ولم يتبلور إلا مع ظهور النظرية التفاعلية التي تطورت على يد "جرج لايكوف" و"مارك جونسون" خاصة مع صدور كتابهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها"، حيث أحدث ثورة في رؤية الاستعارة وآلياتها، ودورها الجوهري في كثير من أمور حياتنا، إذ جعل من النسق الذي يتحكم فينا استعاري بطبعه لهذا يعني هذا البحث باستكشاف أبعاد لغة السياسة، انطلاقا من توجّه يؤمن بأن الاستعارة ليست من ممتلكات الأدب وإنما أمر من الأمور التي نتواصل ونحيا

بها، كما أنها من الأشياء التي يمكن أن تتجسد من خلال أفعالنا، وتصرفاتنا. وحاولنا التدليل على ذلك برصد الاستعارات الواردة في الخطاب السياسي الذي يعد وليد بنية الواقع، التزمنا فيها بالاحتفاظ بالنموذج التفاعلي حيث تستلزم المبادئ العامة للاستعارة تجاوز الطرح الاستبدالي فاعتبرناها مركزية في حياة البشر، تمكّننا من الوصول إلى تفهم حقيقة الأشياء وتشكيل المفاهيم وتبني مسارات منسجمة ومتماسكة تروم معالجة طرق إنجاز الأفعال، كالوعد، والتهديد والتعزيز، وإضفاء الشرعية.

وبناء على ذلك سنختار في المدوّنة شواهد مأخوذة من خطابات ألقاها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة أمام مختلف الهيئات من إطارات في الدولة، وعمال، ومختلف المؤسسات والهيئات الشعبية، وذلك لمحاولة رصد وتتبع فاعلية الاستعارات الواردة فيه على طريقة "جورج لايكوف" و"مارك جونسون"، ومحاولة كشف المفاهيم التي تقف وراء الاستعارات الموظفة فيه، بالتركيز على خطابه الذي يجسد مشروعه الرئاسي بمناسبة ترشحه لانتخابات العهدة الرئاسية الثالثة ليوم 06 أفريل 2009، وخطابه في القاعة البيضاوية بمناسبة اختتامه لحملته الانتخابية، بالإضافة إلى الخطاب الموجه إلى الشعب الجزائري على إثر نجاحه في الانتخابات الرئاسية وتوليه رئاسة البلاد، وذلك نظرا لحصولنا على هذه الخطابات مسموعة.

وقد حاولنا التأسيس لمبحثنا من خلال فصلين :

تناولنا في الفصل الأول الموسوم "الاستعارة وحدود التأويل"، نظريات الاستعارة بحيث تعرضنا فيه إلى التصور التفاعلي للاستعارة في مقابل التصور الاستبـــدالي فقدمنا الانتقادات الموجّهة لهذا النموذج وتبيان قصوره، وهو ما أفضى للأخذ بالتصور التفاعلي الذي يعتبر الاستعارة حصيلة تفاعل فكرين نشيطين لا مجرد كلمات معزولة فرصدنا تصوّر "بلاك" باعتباره أول من أرسى هذا الاتجاه ثم ألحقناه بتصوّر "ريتشاردز" الذي يشكل العتبة التي انطلق منها "لايكوف" و"جونسون" في تأسيس نموذجهم وتقسيماتهم الكبرى للاستعارة واستغلالهم لمفاهيم علم النفس الجشطالتي وهو ما جعل من نظريتهم تفاعلية تجريبية، دون أن نغفل تصوّر "بول ريكور" الذي ربط الاستعارة بالرمز.

ووفق هذا الطرح، فإنه يمكننا أن نميّز في تحليل الاستعارة بين الآخذ بالمقوّمات الذي شاع مع النموذج الاستبدالي بتفكيك أجزاء الاستعارة، والاعتماد على محدودية القاموس، وبين المتبني للنموذج التحليلي المعرفي الذي ارتبط بالموسوعة وتفاعل مختلف العلوم مع الإلمام بالسياق التداولي للخطاب، وهو ما يشكّل ذخيرة لتأويل الاستعارة والكشف عن كيفية اشتغالها وفاعليتها.

ونظرا لما يحيط مفهوم التأويل من تعدد دلالي، وكثرة الاستعمال، وبحكم طبيعة الاستعارة وانفتاحها على سلسلة من التآويل، ارتأينا أن نتعرض إلى أهمية العنصر التداولي في تأويل الاستعارة، وكذا دور التجارب والمضامين المعرفية المتعددة واستثمارها في عملية التحليل الاستعاري، وذلك وفق ما تطرحه سيرورة "بيرس" التأويلية التي تهتم بمختلف التجارب والمعارف التي يتفاعل معها الفرد فحاولنا أن نطبقها في تحليل القول الاستعاري الوارد في الخطاب السياسي، كما رصدنا أيضا طرح "جوليا كريستيفا" الذي يجعل من الاستعارة وسيلة رمزية تشتغل في ثناياها كل أشكال البنيات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، لنخلص إلى أن تأويل الاستعارة يتطلب موسوعة محيّنة من قبل القارئ، وذلك ما نستشفه عند "ايكو".

أما الفصل الثاني الموسوم بـــ "دور الاستعارة في تجسيد المفاهيم وتشكيل الواقع في الخطاب السياسي"، عملنا فيه على تحليل الاستعارة في هذا الخطاب، من خلال الدمج بين مفاهيم وإجراءات النظرية المعرفية التجريبية التي تعتمد على إجراءات العلم المعرفي والذكاء الاصطناعي، إذ قامت على أبحاث فلسفية، ونفسانية وعلمية سعيا إلى إعادة النظر في مكوّنات الإنسان ووضعه، وعلاقته بالطبيعة، وبغيره من الناس وإثارة كيفية اشتغال الذهن البشري، عن طريق سلوكه وآليات تفكيره، والتعرف على الآليات التي تسعف الإنسان لإنتاج المعرفة، والتصرف في أهم أداة لها وهي اللغة، ومن هذه الآليات نجد الخطاطة والإطار، والمدوّنة والسيناريوهات، لهذا حللنا الاستعارة بالاعتماد على هذه الآليات، وهو ما أخذ به محمد مفتاح في كتابه "مجهول البيان"، فهذه المفاهيم ما هي إلا المنطلقات الأساسية التي استغلها "لايكوف" في تبني نموذجه التفاعلي.

كما تعرضنا لنموذج الاستعارات الكبرى التي فرّعها "جورج لايكوف" و"مارك جونسون" والمتمثلة في التقسيمات والأنواع التي أورداها في تحليلاتهم للبنية الاستعارية، بحيث وجدت لها مبررات من خلال الطروحات المعرفية والتجريبية التي لا تخرج عن القدرة الإنسانية في فهم تجارب الفرد وحياته وعلاقاته، إذ أن الباحثين قد خاضا في مناقشات عمومية مع الناس، والأساتذة، والطلبة الذين كانوا أحد مصادر الأفكار التي تبناها، مما جعل دراستهما تشكّل الجانب المعرفي لدى كل الناس، وهو ما دفعنا إلى الأخذ بها في تحليل الخطاب السياسي الذي لا يستقل عن منظومتنا الاجتماعية، ولغتنا وتعاملاتنا اليومية.

وقسّم الباحثان الاستعارات إلى:

1. استعارات وجودية (أنطولوجية): وينتج هذا النوع من الاستعارات من خلال تفاعل تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية، وبخاصة أجسادنا، حيث يتم النظر إلى الأفكار المجردة كالعقل والحقيقة مثلا، والانفعالات باعتبارها أشياء مادية، مما يمنح لنا طرقا للنظر إلى الأحداث، والأنشطة، والإحساسات انطلاقا من الأنساق الفيزيائية، وتبعا لهذا حلّلنا بعض هذه الاستعارات، كاستعارة الدولة بوصفها شخص، واستعارة الأزمة شخص عدو والحضارة بوصفها كائنا بشريا، لنبرز دور التفكير الاستعاري في فهم الخطاب السياسي والنسق الذي يقوم عليه.

2. استعارات اتجاهية: ويرتبط هذا النوع من الاستعارات بالاتجاهات الفضائية: "عال– مستقل داخل– خارج، أمام – خلف، فوق – تحت، والتي تنبع من وضعيات الجسد وكيفية اشتغاله في المحيط الفيزيائي، مما يعطي لتصوراتنا توجها فضائيا. ويرى "لايكوف" و"جونسون" أنه نتيجة لكون أجسادنا لها هذا الشكل الذي عليه، وكونها تشتغل بهذا الشكل في محيطنا الفيزيائي، فإن مرتكزاتها واقعة في تجربتنا الثقافية، وواقعة في تعاملاتنا اليومية وتجاربنا، فالإنسان بفعل تفاعل جسده مع المحيط الخارجي، يُنتج مفاهيم كثيرة ومتعددة تعكس تفاعله والفضاء، فنحن نشير إلى "الأسفل" للتعبير عن حالتنا السلبية كالتخلف والأسى وانهيار المعنويات، ونشير إلى "فوق"، كلما صادفتنا حالة من ارتفاع المعنويات والتقدم والتطور.

إن هذه الاستعارات الاتجاهية القائمة على الثنائية لا تقوم فقط بترتيب كلامنا ومنحه المرونة الضرورية، بل تقوم كذلك بتنظيم أعمالنا ومعتقداتنا ولذلك تتعدى الاستعارة اللغة إلى مجال الفكر الذي يتحكم في لغتنا وأعمالنا وهو ما يجعل هذا النوع مثبتا في نسقنا التصوري، ندرك عبرها العالم من حولنا ونمارس فيه تجاربنا بشكل استعاري ولذلك حاولنا أن نقدم تحليلا لكيفية نشوء كل تصوّر استعاري من تجربتنا الفيزيائية والثقافية في الخطاب السياسي كاستعارة العلو اتجاه نحو التقدم والانخفاض تدهور واستعارة "الارتفاع – استقرار"، "الانخفاض – تدهور".

3. استعارات بنيوية: وتتأسس على ترابطات نسقية داخل تجربتنا، حيث تسمح لنا بإيجاد الوسائل الملائمة لتسليط الضوء على بعض المظاهر، فتعمل على إظهار بعض التصورات وإخفاء أخرى، فنحن عندما نتبنى رأيا معينا، نستعمل كل الوسائل المتاحة للدفاع عن تصوراتنا: التحدي، والتهديد، والتسلط، والشتم، والتلميحات... بمحاولة تقديم حجج عقلية على شكل أسباب، وذلك عن طريق حمل الآخر تصورات تعكس ما يسعى إليه، وهو ما ساهم في كشف الجانب الخفي في الاستعارات الموظفة في الخطاب السياسي.

وتعرضنا لنموذج الاستعارة المفهومية (التصوّرية) وهو نموذج لا ينفصل عن الاستعارات الكبرى، التي فرّعها "لايكوف وجونسون"، حيث نجد هذه الاستعارات تشتغل انطلاقا من بنية الخطاب ومن السياق الكلي، وهي مؤسسة على تجاربنا، إذ يمنح سياق التداول، والتجربة الحياتية تصورات تقود تفكيرنا إلى استخلاص مفهوم محدّد حول مسألة معينة عن طريق تعابير استعارية، وهو ما أشار إليه "أمبرتو ايكو" في حديثه عن الاستعارة السياقية، وهي استعارة النص، أي الاستعارة التي تكشف عن قاعدة إيديولوجية لمجتمع من المجتمعات. وبهذا يمكن اعتبار الاستعارات المفهومية بمثابة منظومة اجتماعية، يتم عبرها تشغيل كل المعارف والتجارب الثقافية، والاجتماعية.

اعتبر "لايكوف وجونسون"، أن هذه الاستعارات تعتمد أساسا على التجربة الحياتية للإنسان ذلك أن ملامسته للأشياء، وتفاعله معها تكوّن لديه تجربة عادة ما ينقلها ويسقطها على تصوراته، محاولة منه فهم المجرد انطلاقا من المحسوس، وهو ما يشكّل عتبة لفهم هذه المجردات بالإعتماد على خصائص الأشياء المادية وكيفية اشتغالها وانطلاقا من هذا

المبدأ، سندرس النسق الاستعاري المكوّن لمفهوم الفتنة، والزمن والتقدم في الخطاب السياسي، اعتمادا على التجارب المستمدة من المجال الطبيعي، لمحاولة تبيان أن هذه الاستعارات طبيعية، وهي دائمة الحضور في فكرنا لدرجة أننا نتخذها كبديهيات ومسلمات، لهذا لا يمكن الانتباه إلى طابعها الاستعاري. وبيّنا أيضا أن هذه الاستعارات قد عملت على تحديد الواقع الاجتماعي، وصنع الحقيقية الاجتماعية، والثقافية والسياسية وبهذا تكون مفهوما ذو قوة معرفية يؤسسها الخطاب لأنها جزء من بنية تصوّرية تحدّد طبيعة العلاقة بين الفرد وعالمه.

وتطرقنا إلى مفهوم التشاكل في الاستعارة، حاولنا من خلاله أن نوضّح كيف أنه أقام البنية الدلالية، وحدّد مستوى من المعنى، وحقق الانسجام الكلي للخطاب، انطلاقا من مفهوم " راستيي" (F.Rastier) للتشاكل الذي يعتبره أنه القراءة المنسجمة للخطاب كما اعتمدنا في ذلك على تحليل محمد مفتاح الذي جعل من التشاكل متعددا ومتنوعا حيث قسّمه إلى تشاكل لفظي، ومعنوي.

ومن العناصر التي أسهمت في التغلغل داخل الخطاب السياسي، تظفيره بالخطاب الديني نظرا لما يملك من قوة تأثيرية، وإحداث تغييرات جوهرية في توجهات وسلوكيات فئات شعبية، وهو ما يمكن أن يفسر إلى حد كبير عن طريق الاستعارة المفهومية التي تكمن فعاليتها في استدعاء الصوّر، والمعارف، والأفكار، فالمستمع يرفض مبدئيا الكفر والضلال، ويتوحد مع فضاء الدين، وهو ما استغله الخطاب السياسي لتعزيز شرعيته وهو ما يثبت أيضا من جهة أخرى البعد الحجاجي للاستعارة كونها تهدف إلى إحداث تغيير في مواقف المستمعين عن طريق إقناعهم.

وأنهينا الفصل الثاني باستكشاف أفاق جديدة، تمكّننا فيها رؤية تجسد التجارب المجردة وهي الأخلاق والإيدولوجيا من خلال عملية الإسقاط الاستعاري، عمل الخطاب السياسي بموجبها على تعزيز شرعيته، وإضفاء الحقيقة وإخفاء تجارب أخرى عن طريق تحقيق الإقناع لدى المستمعين.

وختمنا البحث بجملة من النتائج مفادها أن التأويل الاستعاري ينبثق من علاقة تفاعل بين القارئ والمتلقي، تلعب فيها الموسوعة دورا مركزيا مما يجعل الاستعارة

تختلف باختلاف الثقافات والقدرات المعرفية، كما أنها ظاهرة ذهنية لا لغوية، مكّنت التفكير البشري من التعامل مع واقعه، بكشف بنياته، وكيفية اشتغالها والتعامل مع المجردات من خلال إسقاط التجارب المادية، كما تدخلت في تشكيل المفاهيم الأخلاقية والإيديولوجية مما يجعلها أيضا وسيلة إخفاء.

وفي الأخير لا يسعني، إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف "بوجمعة شتوان" لقبوله الإشراف على هذا العمل، فكان خير سند وعون طيلة انجاز هذا البحث كما كان نعم الأستاذ، ونعم المعلم. كما أتقدم أيضا بالشكر الجزيل إلى الأستاذة "آمنة بلعلى" التي لم تبخل يوما بالدعم المعنوي والعلمي، وإلى اللجنة المناقشة التي تتفضل بقراءة هذا العمل ومناقشته وإثرائه.

والله المستعان

الفصل الأول

الاستعارة وحدود التأويل

تمهيد:

شكّلت الاستعارة موضع اهتمام اللسانيين، وفلاسفة اللغة والسميائيين، وعلماء النفس والأنتروبولوجيين وغيرهم، ونتيجة لهذه الاتجاهات المختلفة، فإن التنظير للاستعارة وتحليلها وتأويلها تنوّع واختلف باختلاف وجهات النظر، فدافع كل فريق على فعالية وجهته، ومع ذلك حاولنا في هذا البحث أن ندمج هذه النظريات ونختزلها في نظريتين أساسيتين، كما فعل محمد مفتاح حيث أرجعها إلى النظرية الاستبدالية والنظرية التفاعلية.[1]

ترى النظرية الاستبدالية أن الاستعارة وسيلة لغوية لوصف بعض المماثلات الموجودة قبليا بين شيئين في العالم، تجمعهما علاقة مشابهة، تمتد هذه الأسس من الفلسفة اليونانية إلى عصرنا الحاضر، إذ هي قائمة على التحديد الأرسطي واستقراره في الشجرة الفرفورية، كما عدت الاستعارة بمثابة انحراف طفيلي يصيب اللغة وبسبب هذا، فإن الاستعارة ليست لها أهمية معرفية، وإنما لها دورها في الخطاب البلاغي والجمالي، في حين أن النظريات التفاعلية، وإن شئنا، كما يرى محمد مفتاح وبحسب "أورتونى" النظرية البنائية هي السائدة الآن لأسباب عديدة منها التطورات العلمية المحضة والتغيرات التي لحقت مناهج العلوم الإنسانية والأدبية والتي تجعل من الاستعارة وسيلة لفهم وإدراك الواقع ولخلقه وليست مجرد وصف له.[2]

1- نظرية الاستعارة:

1.1- النظرية الاستبدالية:

من المعلوم أن نظرة "أرسطو" للاستعارة شكّلت في مراحل تاريخية متعاقبة قاعدة عديد من الدراسات القديمة والحديثة، على سواء، ولقد أكّدت دراسات حديثة ومعاصرة على أن الكلمة اليونانية "Métaphore" تشير إلى تحديد العملية اللغوية في فهم الاستعارة والتي تعني الانتقال بالمعنى وحمله على معنى آخر، وبهذا عرّف "أرسطو" الاستعارة

1- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1986 ص82-84.

2- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1990، ص48-49.

على أنها إعطاء الشيء اسما يعود على شيء آخر، بالانتقال من النوع إلى الجنس، ومن الجنس إلى النوع، ومن النوع إلى النوع، والنقل بالتناسب.[1]

ويمكننا استرجاع فكرة النقل عند "أرسطو" كالتالي:

أ) النقل من الجنس إلى النوع: أي استبدال الجنس بالنوع، وأعطى "أرسطو" المثال الآتي لتوضيح ما يقول: "هنا توقفت سفينتي"، باعتبار أن "الإرساء" ضرب من التوقف.

ب) النقل من النوع إلى الجنس: ومثال ذلك: "أجل لقد قام أوديسوس بآلاف من الأعمال المجيدة"، لأن "آلاف" معناها "كثير" والشاعر استعملها مكان "كثير".

ج) النقل من النوع إلى النوع: مثال ذلك قوله: "انتزع الحياة بسيف من نحاس" و"عندما قطع بكأس متين من نحاس... " لأن "انتزع" ها هنا معناها "قطع" و"قطع" معناها "انتزع" وكلا القولين يدل على تصرّم الأجل (الموت).[2]

د) النقل القائم على التناسب (التمثيل): حيث تماثل الاستعارة في هذا النوع بين فئتين متشابهتين تكون فيها نسبة الثاني إلى الحد الأول كنسبة الرابع إلى الثالث، لأن الشاعر سيستعمل الرابع بدلا من الثاني والثاني بدلا من الرابع، وفي بعض الأحيان يضاف الحد الذي تتعلق به الكلمة المبدل بها المجاز، ولإيضاح ذلك يقول أرسطو: "أن النسبة بين الكأس وديونوسس" هي نفس النسبة بين "الترس" و"آرس"، ولهذا يقول الشاعر عن الكأس "إنها ترس ديونوسس" وعن الترس أنه "كأس أرس". كما يضرب "أرسطو" المثال التالي: "النسبة بين الشيخوخة والحياة هي بعينها النسبة بين العشية والنهار"، ولهذا يقول الشاعر عن العشية على أنها "شيخوخة النهار"، وعن الشيخوخة أنها عشية الحياة أو غروب العيش. وفي بعض أحوال التمثيل يرى "أرسطو" أنه لا يوجد اسما ولكن يعبّر عن النسبة فمثلا: "نثر الحبّ" يسمى "البذر"، ولكن للتعبير عن فعل الشمس وهي تنثر أشعتها لا يوجد لفظ ومع ذلك فإن نسبة هذا الفعل إلى أشعة الشمس، هي بعينها كنسبة البذر إلى الحبّ ولهذا يقال: تبذر نورا إلاهيا.[3]

1- Eric bordas, les chemins de la métaphore, PUF, 2003, P. 36.

2- ينظر: أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، (د.ط)، دار الثقافة، لبنان (د.ت)، ص58.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص59.

وبناء على ذلك تتميز البنيات الاستعارية عند "أرسطو" بعملية استبدال وفق محور المشابهة وهو ما أشار إليه "أمبرتو ايكو" عندما عمل على نقد النموذج الأرسطي إذ يرى أن الاستعارة في النقل من الجنس إلى النوع يبدو شكلا من الترادف، بحيث يرتبط إنتاجه وتأويله بشجرة فرفورية وبالتالي فإننا إزاء تعريف فقير، لأن الجنس لا يكفي لتحديد النوع، فالذي يؤكد أن الحيوان هو الإنسان يقوم بنوع من الاستدلال غير المشروع، فرغم أن الحيوانية مقوّم مشترك بين الإنسان والحيوان إلا أنها ليست سمة مميزة قادرة على جعلنا نفهم أحدهما انطلاقا من الآخر.[1]

أما عن النمط الثاني، فيراه "ايكو" أكثر مقبولية، بما أنه يمثل أنموذجا صحيحا حيث استعملت / آلاف/ في مقال "الكثير"، وهو جنس تكون منه الآلاف نوعا، إلا أن المسألة تبدو أقل إقناعا من وجهة نظر اللغة الطبيعية، فـــ "آلاف" هي بالضرورة كمية كبيرة، فقط إذ ما أخذنا شجرة فرفورية تخص سلما معينا من الكميات، فيمكن أن نتصور سلما آخر فيه كميات هائلة تكون فيه "الآلاف" كمية ضئيلة جدا، وبموجب ذلك يتساءل "ايكو"، كيف لم يتفطن أرسطو لذلك؟ وعليه يرى الباحث أنه بالإمكان الإجابة عن ذلك باعتبار أن عبارة /آلاف/ في اصطلاح اللغة اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد قد كانت مقننة جدا وتستعمل لتعني كمية كبيرة.[2]

وبهذا يصل"ايكو" إلى النمط الثالث الذي يبدو أكثر الاستعارات شرعية في نظره فهناك مشابهة بين: "استل" و"قطع" مما يجعل البنية المنطقية والحركة التأويلية تمثلان على هذا النحو:

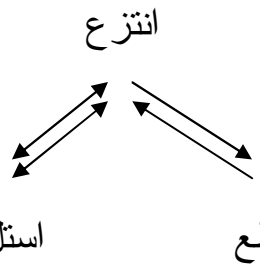

1- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط1، مركز دراسات الوحدة، بيروت، 2005 ص247.

2- المرجع نفسه، ص248.

إن الانتقال من نوع إلى جنس ثم من جنس إلى نوع يمكنه أن يتم من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين، ويستثمر "ايكو" هذا النمط ليقدم بعض الأمثلة ويحلّلها مثل /سن الجبل/ إذ أن السن والقمة يشتركان في جنس "شكل مدبب". أما في مثال: /إنها غصن بان/ فتشترك الفتاة والبان في جنس "جسم لين". بالإضافة إلى ما جاءت به النظريات المعاصرة التي تقول باكتساب البان خاصية بشرية واكتساب الفتاة خاصية نباتية وفي كلتا الحالتين تفقد الوحدتان شيئا من خاصيتهما.[1] ومن هنا تكون نظرية المقوّمات راجحة في تحليل أشباه هذه الأمثلة، إذ أن الأمر لا يتعلق فقط بخصائص محايّثة يتم تفكيكها، بل بتبادل مقوّماتي بين العناصر المقترنة لغويا ودلاليا.[2]

ورغم صلاحية نمط الاستعارة التناسبية، إلا أنه يبقى فقيرا في نظر "ايكو" وفي حاجة إلى تتميم، فنحن نجد المشابهة بين "الكأس والترس"، في استدارتهما ولكنهما مختلفان بالنظر إلى وظيفتهما، ثم أن "آرس وديونوسيس" متشابهان لأن كليهما إله، إلا أنهما مختلفان بالنظر إلى ميدان عملهما وهو ما جعل محمد مفتاح، يقوّم النموذجي الأرسطي الذي بنى الاستعارة في تكوّنها على المعرفة القياسية، فكان تأثيره في كل أعمال العرب القدماء حيث أكّد الباحث قصور تصوّر العرب للقياس، إذ أنهم لم يلتفتوا للعلاقة القائمة بين الاستعارة وقياس التمثيل، ويؤكد أن محاولته هذه لم يقم بها القدماء ولا المحدثون لهذا نراه يعقد مشابهة بين مواقف الباحثين القدامى من قياس التمثيل ووضعه المعرفي ومواقف المحدثين من الاستعارة ووضعها المعرفي، فقارب بين الآليتين على الشكل التالي:[3]

القياس	الاستعارة
الفرع	الموضوع الأول
الأصل	الموضوع الثاني
العلة	المقوّم المشترك بين الموضوع1 والموضوع2
الحكم	مطابقة الكلام لمقتضى الحال

1- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، ص250.

2- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ط1، دار توبقال للنشر، 2005، ص41.

3- محمد مفتاح، مجهول البيان، ص 42، 43.

وبهذا يصل محمد مفتاح إلى أن الاستعارة مثل القياس تتركب من طرفين وهذا شيء معروف في كتب البلاغة العربية؛ إذ أن هناك طرفا مذكورا وطرفا مضمرا وأحدهما مشبه (الموضوع الأول) وثانيهما مشبه به (الموضوع الثاني)، وعند الإجراء يحلّل المشبه به إلى صفاته الذاتية ولوازمه إذا أمكن وأعراضه، ثم يسند بعضها إلى المشبه ليدّعي دخوله في جنس المشبه به، وبهذا فإن الموضوع الأول يكتسب بعضا من الموضوع الثاني؛ ويصير الموضوع الثاني يمتلك بعض من الموضوع الأول وعن طريق التوليف بينهما يتدخلان ويتفاعلان. واستدراكا لهذا يكون مرد أية استعارة كما يشير محمد مفتاح إلى موضوع أول وموضوع ثان وهو ما يحدّ من كثرة التقسيمات البلاغية التي قدّمها القدماء والتي انتقدوها بأنفسهم باعتبار أنها ليست محكومة بمقاييس مضبوطة.[1]

1.2- النظرية التفاعلية:

انطلق كل من "ريتشاردز" و"بلاك " من نقد التصوّر الاستبدالي من أجل بناء نظرية تفاعلية ترى أن الاستعارة ليست مسألة لغوية بل إنها نتاج فكر، وتفاعل عوامل اجتماعية وثقافية، وهو ما أضافه كل من "بول ريكور" و"جرج لايكوف ومارك جونسون".

1.1.2- تصوّر "بلاك " (Max black):

ميّز "بلاك" في الاستعارة بين الكلمة الاستعارية التي أطلق عليها اسم البؤرة (focus) وباقي الجملة الذي أطلق عليه اسم (frame)، ويقدّم مثالا لذلك "انفجر الرئيس خلال المناقشة"، فالملاحظ في هذه البنية أنه توجد كلمة على الأقل تستخدم بشكل مجازي وتكون في أية جملة استعارية؛ متمثلة في كلمة "انفجر"، كما توجد كلمة أخرى تستخدم بشكل حرفي، وهو ما تمثله باقي عناصر الجملة، وبهذا يطلق على كلمة "انفجر" بؤرة الاستعارة، وعلى باقي كلمات الجملة "الإطار" المحيط بالاستعارة، ويبدأ التفاعل بينهما مما يجعل من الاستعارة عملية ذهنية بين فكرين نشيطين، ينتج عنهما مولّدة جديدة

1- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص45.

نستطيع بواسطتها إدراك الشيء غير المعتاد في طرفي الاستعارة عن طريق شيء آخر نعرفه، كما نتمكن كذلك من النظر إلى هذا المعتاد نفسه نظرة جديدة غير مألوفة.[1]

وبهذا فإن النظرية التفاعلية للاستعارة تولي اهتماما بالمتلقي في عملية فهم وتأويل الاستعارة، بحيث تلعب الظروف السياقية والخارجية دورا مركزيا للكشف عن هذا التفاعل، يؤخذ فيها بعين الاعتبار المؤتلف والمختلف ليشكل الكل وحدة، كما يبيّن الشكل التالي:[2]

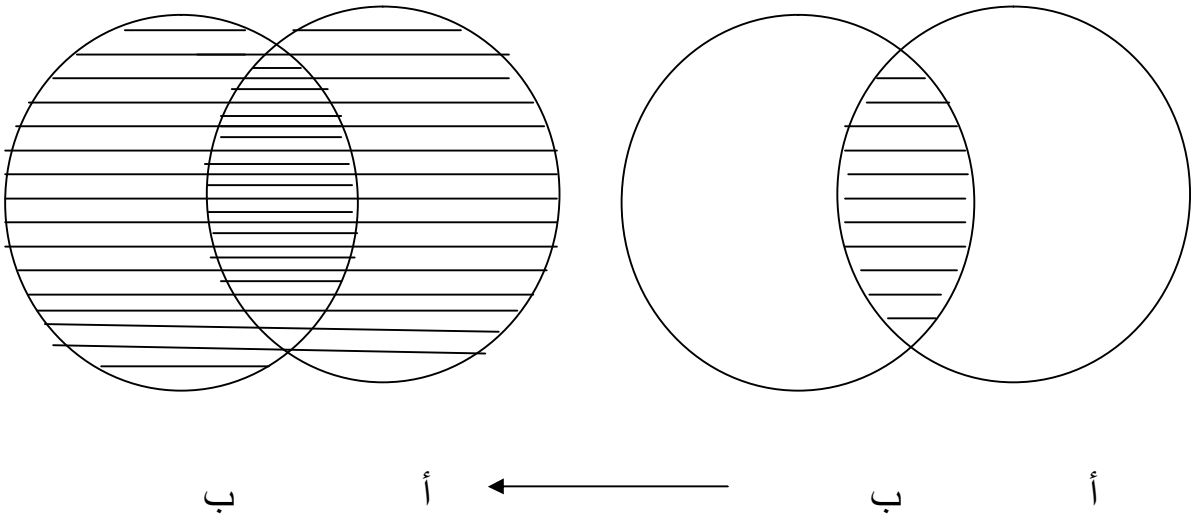

المنظور التفاعلي للاستعارة.

2.2.1- تصوّر ريتشاردز (I.A.Richards)

جاء تصور "ريتشاردز" للاستعارة من خلال كتابة "فلسفة البلاغة"، حيث انتقد فيه المنظور التقليدي الذي يرى أن رؤية المتشابهات موهبة يمتلكها بعض الناس دون بعض رغم أن الواقع يؤكد أننا نعيش ونتكلم من خلال رؤيتنا للمشابهات، كما أكد "ريتشاردز" على أننا نكتسب قدرتنا على الاستعارة مثلما نتعلم أي شيء يميّزنا كبشر ويكون بذلك قد أنكر التصوّر الذي يجعل الاستعارة موهبة خاصة. وفي ظل هذا الطرح الجديد للاستعارة، يلغي الباحث الفكرة القائلة بأن الاستعارة شيء خاص واستثنائي في الاستعمال

1- ينظر: يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1997 ص131.

2- ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2001، ص63.

اللغوي؛ أي أنها انحراف عن النمط الاعتيادي للاستعمال بدلا من أن تكون المبدأ الحاضر أبدا في نشاط اللغة الحر.[1]

ويقرّ في مقابل ذلك أن الاستعارة مسألة طبيعية في اللغة وفي التفكير الإنساني وهو ما يمكن البرهنة عليه بالملاحظة المجردة؛ فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أي حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة؛ فهي ظاهرة لا يخلو منها حتى الخطاب العلمي الجاف الذي لا يمكنه الاستغناء عنها،[2] وهو ما يجعل من الاستعارة «الملكة التي نحيا بها».[3]

ويركز الباحث لبناء تصوّره على فكرتين أساسيتين:

1- نقد الاعتقاد الذي يطلق عليه خرافة المعنى الخاص: والذي يرى أن الكلمات ذات معاني ثابتة ومحدّدة، فرفض "ريتشاردز" هذا الحصر للكلمات في إطار وحيد ومقنن ودعا إلى ضرورة فتح مجال تعدّد المعاني واختلافاتها؛ إذ أن طريقة استعمالنا للغة تؤكد ذلك فكلماتنا تحوّل معانيها حسب السياق الذي وردت فيه والاستعمال المتعدّد.

2- القول بتفاعل اللغة والفكر: حيث يرفض الفصل بين اللغة والفكر ويؤكد على ضرورة التفاعل بين الطرفين، وهو ما يفضي إلى تعريفه للاستعارة كونها جمعا لفكرتين مختلفتين تعملان معا وتستندان إلى كلمة واحدة أو عبارة واحدة، يكون معناها حاصل تفاعل هاتين الفكرتين، وبذلك يعد التعبير الاستعاري عنده سمة رفيعة من سمات الأسلوب لأنه يعطينا فكرتين في فكرة واحدة انطلاقا مما تفعله كل فكرة في الأخرى أو ما تفعله الفكرتان مجتمعتين فينا، إننا نجد تنوعا هائلا من أنماط التفاعل بين الأفكار بتداخل مختلف أجزاء البنى الغائبة والذي يعمل السياق على استدعائها ومن هنا يطرح "ريتشاردز" دور المتلقي في الكشف عن جوانب السياقات المختلفة لمعنى الكلمة والذي يختلف من واحد لآخر باختلاف مهاراتنا وقدراتنا المعرفية.[4]

1- ينظر: أيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي، ناصر حلاوي، (د.ط)، أفريقيا الشرق المغرب، 2002، ص91، 92.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص93.

3- المرجع نفسه، ص96.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص93- 95.

ويطلق "ريتشاردز" على طرفي الاستعارة "الحامل والمحمول"، لهذا نراه يستغرب من عدم امتلاكنا مصطلحات مميزة لهذين الشقين المكونين للاستعارة، وهو ما يجعلنا في نظره نقع في فوضى التحليل منذ البداية. إن التمييز بين الطرفين يعد عنده من الخطوات المهمة في التحليل الاستعاري يقول: «الخطوة الأولى أن نضع مصطلحين نستطيع بهما التمييز بين ما سماه الدكتور جونسون الفكرتين اللتين تعطينا إياهما الاستعارة بأبسط أشكالها دعونا نسميها الحامل والمحمول».[1]

ويوازن الباحث بين الطرفين، ولا يفصل بينهما على حساب الآخر خلافا للتجارب السابقة في تحليل النماذج الاستعارية؛ حيث أكدت نتائج الفصل بينهما إلى تحقيق أسوء التوقعات على حد قوله،* لهذا يعدهما شكلين مجتمعين ينتج عن حضورهما معنى محدد وتفاعل مشترك بينهما، فالحامل ليس مجرد زخرف للمحمول وما كان له أن يتغير بواسطته، بل إن تعاون كل من المحمول والحامل يعطي معنى ذا قوى متعددة ولكن لا يمكن أن ينسب إلى أي منهما منفصلين.[2]

وأورد الباحث أمثلة لتحليل العلاقة بين الحامل والمحمول، ومن أمثلة ذلك: "حافة دوارة" حيث نجد أن التفاعل بين الحامل والمحمول لا يعمل من خلال المشابهات وإنما تعتمد على علاقات أخرى فيما بينها، إنه في حالة "الدوار" تبدو، "الحافة" وكأنها دوارة فعلا وعندما يترنح الإنسان من الدوار، فإن العالم يدور أيضا؛ والحافة لا تكون سببا في إحداث الدوار فقط، ولكنها مصابة فعلا بدوار وتبدو هي نفسها مترنّحة بسبب ذلك فتدور بسرعة مذهلة وتنقل العين حركتها بسبب تذبذب مقلتها اللاإرادي إلى العالم الخارجي من خلال تلك الحافة نفسها، وهكذا فإن الحافة تكتسب حين إدراكها في الواقع صفة الدوار. وبهذه

1- ينظر: أيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص97.

* إن الفصل بين هذين الطرفين – حسب النظرية التقليدية (الاستبدالية) – يؤدي إلى التعامل مع الحامل على أنه مجرد زخرف أو زينة مكمّلة للمحمول، فالمحمول هو الأساس وهو الذي يقوم بتوصيل المعنى، في حين يعد الحامل مجرد جمال إضافي أو تلوين للمحمول، غير أن "ريتشاردز" يرفض هذه الفكرة ويدعو في مقابل ذلك إلى إعطاء الأهمية لكلا الطرفين مادام كل واحد منهما يشكّل فكرة قائمة بذاتها.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص101.

الطريقة نصل إلى أن الاستعارة ناتجة عن إسقاطات من العالم الخارجي الذي نتفاعل معه باستمرار ونتصور بها سمات حياتنا الخاصة.[1]

وعلاوة على هذا، شكّل تحليل "ريتشاردز" للاستعارة، مدخلا لتأكيد أنه لا ينبغي أن نحصر التفاعل بين الحامل والمحمول على مجرد التشابهات، وإنما يراهن على علاقة التباين والاختلاف التي تصيب المحمول، إذ أن التشابهات لا قيمة لها في تفسير النص وإنما جيء بها لمجرد أن تكون وسيلة لوصف الذهن، لذلك يمضي في دراسة معاني الألفاظ وإيحاءاتها بكونها أوصافا للمجرى والذهن.[2]

انطلاقا من هذا نخلص إلى أن الاستعارة عند "ريتشاردز" تنفتح على تعدّد تفاعل الجوانب الثقافية والاجتماعية والنفسية، وتعد بذلك وسيلة للفهم والمعرفة للكشف عن كنه الأشياء.

3.2.1- تصوّر بول ريكور (Paul Ricœur):

تتمثل الخطوة الأولى لفهم الاستعارة عند "ريكور" في التخلي عن نظرية المشابهة والاستبدال التي تجعل من الاستعارة عملية عقيمة، لهذا نراه يرفض الخضوع لمسلمات هذه النظرية فينتقدها، وبالمقابل يرى أن النظرية التفاعلية هي النموذج الذي بإمكانه أن يهتم بالاستعارة ويجعلها عملية ابتكار دلالي تقدم لنا معلومات جديدة.[3]

يبدأ "ريكور" انتقاده للمسلمة القائلة أن الاستعارة مجرد استبدال في دلالة الكلمات تعتمد في ذلك على المشابهة، حيث يرى أن الاستعارة تهتم بدلالة الجملة قبل أن تهتم بدلالة الكلمة المفردة وهذا أول كشوف المقاربة الدلالية للاستعارة. ومادامت الاستعارة لا تحظى بالمغزى إلا في القول، فإنها تغدو عند "ريكور" ظاهرة إسناد لا مجرد تسمية ويضرب مثالا لذلك "صلاة زرقاء" أو "غطاء الأحزان" فتكون عملية الجمع بينهما هي ما يشكل الاستعارة وليست الكلمات بمفردها. وبهذا فإنه لا يجب علينا أن نتحدث عن

1- أيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص101.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص118.

3- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي المغرب، 2003، ص89.

استعمال استعاري لكلمة معينة بل عن قول استعاري كامل، فالاستعارة هي حاصل التوتر بين مفردتين في قول استعاري.[1]

ويتجه "ريكور" انطلاقا من هذه القضية إلى إثارة مسألة أخرى وهي قضية العدول، فما دامت الاستعارة لا تهتم بالكلمات باعتبارها تنتج على صعيد جملة كاملة فإن الظاهرة الأولى التي ينبغي تأملها ليست العدول عن المعنى الحرفي للكلمات بل توظيف عمل الإسناد على صعيد الجملة بكاملها، فيكون التوتر عنده في القول الاستعاري ليس بالشيء الذي يحصل بين مفردتين في القول، بل هو في حقيقته توتر بين تأويلين متعارضين للقول، وإن الصراع بين هذين التأويلين هو الذي يغذي الاستعارة، وبهذا الاعتبار فإننا نكشف عن مغزى الاستعارة انطلاقا من تأويل القول الحرفي، فالصلاة ليست زرقاء إذا كان الأزرق لونا، والأحزان ليست غطاء إذا كان الغطاء كساء مصنوعا من قماش، وبالتالي فإن الاستعارة لا توجد في ذاتها بل في التأويل ومن خلاله.[2]

وأما دور المشابهة، فيرى "ريكور" أنه قد أسيء فهمه في الغالب إذ أن عمل المشابهة يكمن في اجتماع البعداء، وهذا ما كان أرسطو يقصده حينما قال أن الانغمار في الاستعارة المبتكرة يتطلب عينا لالتقاط المشابهات المتباعدة وهو ما يجعل من الاستعارة تنطوي على إضفاء صورة معينة على الأفكار واختزال الصدمة المتولّدة عن فكرتين متناقضتين، وبهذه الطريقة تلعب المشابهة عند "ريكور" الدور المنوط بها. إن ما يراهن عليه التعبير الاستعاري هو إظهار قرابة ما؛ فبواسطة سوء الفهم الواضح الذي يجمع بين أشياء متفرقة لا تجتمع، تقيم الاستعارة علاقة معنوية جديدة لم تلحظ حتى الآن، تنبجس من بين المفردات التي تجاهلتها أنظمة التصنيف أو لم تسمح بها ويقدّم "ريكور" مثالا لشكسبير؛ فحين يتحدث عن "الزمن شحاذا"، فهو يعلّمنا أن نرى في الزمن وكأنه شحاذ فيجتمع صنفان كانا متباعدين سابقا وفي اجتماع البعداء هذا يكمن عمل المشابهة التي تحاول أن تقرّب بينهما لغرض الوصول إلى فكرة جديدة لم تكن معروفة من قبل.[3]

1- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل، ص90.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص90.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص91، 92.

ويتوصل "ريكور" من وصف عمل المشابهة، إلى أن الاستعارة لا تعني استبدالا بسيطا لكلمة بكلمة، إذ أن الاستبدال لا يمثل أي ابتكار دلالي، في حين أن التوتر بين الألفاظ في الاستعارة الحية أو بعبارة أدق بين التأويلين اللذين يكون أحدهما حرفيا والآخر مجازيا، يثير على مستوى الجملة كاملة خلقا حقيقيا للمعنى الذي لا تنتبه البلاغة التقليدية إلا لآثاره ونتائجه، فهي لا تستطيع أن تفسّر خلق المعنى لكن في النظرية التفاعلية التي تقر بوجود توتر في الاستعارة، تنبثق دلالة جديدة تضم في داخلها الجملة كلها، وبهذا المعنى تكون الاستعارة عند "ريكور" خلقا تلقائيا وابتكارا دلاليا، ومن ثم تمثل فائض معنى وظيفته انفتاح النص على عوالم جديدة وطرق جديدة للوجود في العالم، ولذلك تشبه الاستعارة عنده حل لغز أكثر مما تشبه اقترانا قائما على المشابهة لأنها تتكون أصلا من حل لغز التنافر الدلالي.[1]

وبهذا يربط "ريكور" الاستعارة بالرمز، ورأى أن دراسة الرموز تصطدم بمعضلتين تجعلان الدنو المباشر من بنية المعنى المزدوج أمرا صعبا، تتمثل المعضلة الأولى كون الرموز تنتمي إلى حقول بحث متعددة جدا ومتشعبة كالتحلل النفسي الذي يربطها بالأحلام وبصراعات نفسية عميقة، وتأخذها الشعرية على أنها الصور الفنية الأثيرة في قصيدة معينة، أو تلك الصوّر التي تهيمن على أعمال مؤلف ما، أو أنها الأشكال والمجازات المتكررة التي تتعرف فيها ثقافة بأسرها على ذاتها.[2]

أما عن المعضلة الثانية فيرى "ريكور" أن مفهوم الرمز يجمع بين بعدين، حيث يتضمن عالمين من الخطاب أحدهما لغوي والآخر من مرتبة غير لغوية، وهذه الصعوبة الخارجية للرموز جعلت ريكور يحاول تفسيرها في ضوء نظرية الاستعارة ورأى أنه يمكن القيام بذلك من خلال ثلاث خطوات:[3]

1) تحديد النواة الدلالية التي يتسم بها كل رمز مهما بلغت الفروق بينها، على أساس بنية المعنى القائم في الأقوال الاستعارية.

1- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل، ص93.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 94، 95.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص95، 96.

2) يتيح لنا العمل الاستعاري للغة أن نعزل الطبقة اللا- لغوية من الرموز وأن نفرز مبدأ انتثارها من خلال منهج المقارنة.

3) سيكون هذا الفهم الجديد للرموز مبعث تطورات لاحقة في نظرية الاستعارة قد تبقى من دونه خفية غير منظورة.

وبهذا الربط بين الاستعارة والرمز ستسمح لنا نظرية الرموز بإكمال نظرية الاستعارة، ويفترض ريكور أن هذه التطورات ستعطينا ما يكفي من خطوات تسمح لنا بردم الهوة بين الاستعارات والرموز.

كما يؤكد "ريكور" في هذا الصدد أن الاستعارة هي العنصر الكاشف والمناسب لإضاءة الجانب الرمزي الذي له مساس باللغة، وفي هذا الموقف تكون النظرية التفاعلية أكثر أهمية للكشف عن اتساع المعنى الفعّال في كل رمز، إذ يسمح التوتر القائم في الاستعارة بالبحث عن الدلالات الممكنة مما ينتج فائضا دلاليا، وبهذا أيضا يعمل الرمز.[1]

وعليه يقيم "ريكور" نظرية للرموز على نظرية الاستعارة، فتظل الاستعارات وقائع وعلى نحو ما أماكن في الخطاب، وتميل مقارنة الاستعارة بلغز أو أحجية إلى حصر التحليل بما يطرحه الخطاب من استعارات فردية، وبالتالي الاكتفاء بالجانب الزائل من اللغة وهو ما يجعل الاستعارة عنده ابتداعا دلاليا، ويؤكد على كونها لا توجد إلا في لحظة الابتكار، وحين يتم تجريد الاستعارة من منزلتها في اللغة الراسخة، فإنها تكون مجرد واقعة خطابية ليصل إلى نتيجة مفادها أن الاستعارة حين تتداولها الجماعة اللغوية وتقرّبها تبتذل الكلمة ثم تتحول إلى استعارة ميتة؛ وفي المقابل فإن الرموز تمد جذورها في أصقاع الحياة والشعور والعالم، ولأن لها ثباتا استثنائيا، فإنها تفضي بنا إلى التفكير بأن الرمز لا يموت بل يتحول فقط. من هنا، إذا تشبثنا بمعيار الاستعارة فلابد أن تكون الرموز استعارات ميتة. غير أن "ريكور" يرى أن عمل الاستعارة لا يكتمل ولا يتناسب على الإطلاق كوسيلة للتعبير عن الزمانية المختلفة للرموز؛ أو فيما يسميها إصرارها على البقاء إلا إذا أنقذت نفسها من الاضمحلال التام عن طريق تحقيق تبادل التأثير بين الإشارات، فكل استعارة تستدعي أخرى وكل واحدة تبقى حية بالحفاظ على قدرتها في

1- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل، ص97.

توليد شبكة من الدلالات المستمدة من مختلف ميادين تجربتنا وعددا غير محدود من التأويلات الضمنية على المستوى المفهومي.[1]

ويخلص "ريكور" إلى أنه يجب تقبل قضيتين متعاكستين حول العلاقة بين الاستعارات والرموز، فمن جانب نرى أن في الاستعارة أكثر مما في الرمز باعتبارها تزوّد اللغة بعلم دلالة ضمني للرموز، وما يبقى مختلطا في الرمز - وهو دمج شيء بآخر، والتجاوب اللانهائي بين العناصر - يتم توضيحه في توتر المنطوق الاستعاري.
ومن جانب آخر نجد أن الرمز يتضمن أكثر مما تتضمنه الاستعارة، حيث أن الاستعارة ليست سوى إجراء لغوي يختزن في داخله قوة رمزية، ويظل الرمز ظاهرة ذات بعدين إذ يشير الوجه الدلالي إلى الوجه اللا-دلالي، فهو مقيد بطريقة لا تتقيد بها الاستعارة فللرموز جذور تدخلنا لتجارب غامضة، أما الاستعارات فليست سوى السطوح اللغوية للرموز، ومع ذلك فإن الاستعارات عند "ريكور" مع الرموز تمتاز معا بتوتر دلالي، بين ما تضمره وما تصرّح له، بين ما يوجد وما تبشر بوجوده مستقبلا.[2]

4.2.1- تصوّر "جرج لايكوف ومارك جونسون":

يسعى "لايكوف" و"جونسون" إلى جعل المعرفة أداة لفهم أعمق للوقائع والوعي بها، والانتباه إلى ما يختفي وراءها، ولذلك يمكن اعتبار مجهود الباحثين مجهود توعية القصد منه بناء وعي جديد والانتصار لمعان مختلفة، وذلك بتحليل اللغة والفكر، وخلق لغة تفكر في فكر جديد، لهذا دحض الباحثان التصور الذي يعزل ذهن الإنسان وجسده عن باقي عناصر العالم الخارجي، ويقصي من الاعتبار فاعلية الجسد والخيال، والثقافة في تنظيم العالم، إذ يعتبران أن الإنسان في تفاعل مستمر ودائم مع العالم الخارجي فهو لا يكتفي بتكرار ما هو موجود في العالم وظواهره، وإنما يسعى إلى فهم كيفية اشتغال الفكر انطلاقا من الاشتراك مع المحيط في إدراك مختلف الأنشطة، وهو ما يجعل من الذهن آلة

1- ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل، ص108، 109.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص115، 116.

إبداع الواقع، وليست مجرد تصوير له فقط. وقد أطلق الباحثان على تصورهما مصطلح "المقاربة التجريبية" المستمدة من أفكار النظرية الجشطالتية.[1]

إن البعد التجريبي يستعمل من قبل الباحثين بمعناه الواسع بما في ذلك البعد الحسي- الحركي، والبعد العاطفي، والبعد الاجتماعي، وتجارب أخرى من هذا القبيل متيسرة عند كل الكائنات البشرية العادية. ومفهوم التجربة لا يحيل، بالأساس، على التجارب الفردية التي لا تحصل إلا لنوع معين من الناس بعينه، وإنما المقصود بالتجربة المظهر الذي نتوافر عليه جميعنا باعتبارنا، بكل بساطة، كائنات نعيش في إطار مجتمع بشري، نتفاعل دوما، ونكوّن تجارب مختلفة تعبّر عن محيطنا الطبيعي والاجتماعي والثقافي، وبهذه الطريقة يتم تنظيم العالم -في نظر الباحثين- حيث تكون التجارب عنصرا فاعلا وفي اشتغال دائم مع عناصر العالم الخارجي، فلا يستطيع الإنسان أن ينجز معارف بعيدة ومعزولة عن تجربته ومحيطه باعتبارهما جزءا جوهريا فيه.[2]

إن هذا البعد المعرفي الذي أضفاه الباحثان على الدلالة، جعل من الاستعارة وسيلة معرفية فاعليتها شأن فاعلية التجارب الإنسانية الأخرى، لهذا فهي تتيح لنا محاولة مقاربة كيفية حصول المعاني، ومحفزاتها، وطريقة اشتغالها، وذلك انطلاقا من خصوصية الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعل فيه. ولقد استمد "لايكوف" و"جونسون" هذا البعد المعرفي من خلال مقترحات "جاكندوف" (Jackendoff)، وما عرف بدلالة الأطر التي وضع أسسها ودافع عنها "فيلمور(Filmore)، ونظرية الفضاءات الذهنية التي قدمها "فوكونيي" (Fauconnier).[3]

1) القيد المعرفي (جاكندوف):

يعتمد هذا القيد الذي يحاول تفسير سيرورات الإدراك البشري وعلاقته بالسلوك اللغوي على نظريات علم النفس التجريبي والمعرفي،* حيث يتلخص هذا القيد في وجوب

1- ينظر: مقدمة الترجمة لكتاب: جرج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارة التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة، عبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، المغرب، 2005.

2- ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000، ص51.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص47.

* العلم المعرفي أو علم النفس المعرفي علم معاصر يبحث في كيفية امتلاك الذهن للمعرفة، وكيفية تطويرها، ويبحث في علاقة المحيط بالاكتساب، وفي كيفية احتفاظ الذاكرة بالمعلومة واستعمالها عند الحاجة.

افتراض مستويات للتمثيل الذهني، تتضافر فيها المعلومات القادمة من أجهزة بشرية أخرى مثل جهاز البصر، والجهاز الحركي، والأداء غير اللغوي، وجهاز الشم...الخ. وبدون افتراض هذه المستويات التمثيلية يستحيل أن نقول إننا نستعمل اللغة في وصف إحساساتنا، وإدراكاتنا، وتجاربنا المختلفة بوجه عام.[1]

ويمكن أن نرد الشكل التالي لتوضيح ذلك:

• •

• •

إننا نتصوّر النقط الموجودة في الشكل التالي كما لو كانت تشكّل مربعا، رغم أن هذه النقط البارزة لا تربطها خطوط، ومن هنا يفترض الباحث أن الإنسان يملك مستوى تنظيميا يرتّب به العالم الخارجي، ومن خصائص هذا التنظيم أنه ذهني يرتبط بصورة سببية بعملية الإدراك، وبحالات الجهاز العصبي، ويتم تشغيل هذا المستوى وتوظيفه من طرف الكائن البشري في كل حين، فكلما صادف معرفة أو تجربة فإنه يربطها دائما بتنظيمه الذهني، وهو ما يمكن قوله في الاستعارة، حيث تشكل مجالا للمعلومات الموجودة في الذهن، وبعض هذه المعلومات الذهنية نجدها مرمّزة في اللغة نعمل على تفكيكها انطلاقا من محفزات العالم الخارجي وتجاربه.[2]

2) دلالة الأطر (فيلمور):

يمكن أن نموقع البعد المعرفي النفسي، جزئيا، انطلاقا مما عرف بدلالة الأطر التي لخصها "فيلمور"؛ والتي استفاد منها "لايكوف وجونسون" في تحديد كيفية اشتغال الاستعارة.

إن هذه النظرية هي قبل كل شيء نظرية للمداخل المعجمية؛ فهي تسعى بوسائلها إلى تحديد طبيعة المعلومات الموجودة في هذه المداخل، وكيفية وجودها وسببه. وتعتمد هذه النظرية لتحديد المداخل المعجمية ورصد معانيها على أطر عامة تتجانس فيها مختلف النماذج المعرفية البشرية، وتخصص في ذلك فهما موّحدا ومؤمثلا لمجال من

1- ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص48.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص96، 97.

مجالات التجربة، ومثال ذلك: الفعل "سمع"، حيث يمكننا أن نضع في مدخله المعجمي ما يلي:

- «التقاط صوت بواسطة الأذن من دون قصد»، فشرح هذا المدخل المعجمي لغويا يعتمد على جهاز الإدراك الحسي في جزئه السمعي، ولا بد أن نشير في المدخل إلى "الالتقاط غير القصدي"، لأنه يميز هذا المدخل عن مدخل آخر يعتمد على الالتقاط القصدي للأصوات وهو مدخل "التصنت"، والمدخلان ينتميان كلاهما إلى حقل الإدراك السمعي.[1]

ويدافع "فيلمور" على ضرورة تحديد المعنى باعتباره على أنه نوع من الفهم وليس باعتبار شرطا من شروط الصدق المعروفة في الأدبيات اللسانية المنطقية. إن قولنا: "العشب وردي"، لا يفترض عدها دلالة كاذبة، وإنما نحاول انطلاقا من نظرية -دلالة الأطر- الحث عن علاقات دلالية تربط بين الألفاظ داخل حقول دلالية، لهذا فهي تغنينا عن شروط صدق ممكنة في عالم ممكن.[2]

3) الفضاءات الذهنية (فوكونيي):

يتلخص مشروع "فوكونيي" فيما يسميه بالمستوى المعرفي، بحيث يتم بناؤه حين نستعمل اللغة، كما يتم تحديده في نفس الوقت بواسطة الأشكال اللغوية التي نستخدمها في تركيب وإنتاج خطاب ما، وبواسطة مجموعة مرتبة من التلميحات الخارج-لغوية التي تدخل فيها أشياء من قبيل الخلفيات السابقة والتنبؤات، فتتيح هذه الفضاءات شروط نجاح قول معين، إذ يتم تخصيص الاقتضاءات والتضمنات، وهو ما يجعل من العبارات اللغوية عملية بناء ذهني.[3]

وانطلاقا من هذه الآليات التي انطلق منها الباحثان، تعتبر الاستعارة عندهما وسيلة معرفية، يفهم بها الإنسان تجربته، ومحيطه، ولغته، وتتدخل في ذلك كل مدركاته الذهنية ومختلف معارفه، وبهذا تعد معنى في حد ذاتها، وهي في ذلك مثل استخدام حاسة الرؤية أو حاسة اللمس في حصول بعض الادراكات وهذا يعني أننا لا ندرك مظاهر العالم

1- ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص48.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص49.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص50.

ومكوّناته، ولا نباشر التجربة إلا من خلال بعض الاستعارات فالاستعارات تلعب دورا يوازي من حيث أهميته، ذلك الدور الذي تلعبه حواسنا في مباشرة إدراك العالم وممارسة تجربته، فتكون بذلك مظهرا ثقافيا عاما.[1]

وبهذا وصل الباحثان إلى أن جزءا هاما من تجاربنا، وسلوكاتنا استعاري من حيث طبيعته، فنحن نمارس حياتنا بالاستعارة وهو ما يجعل تفكيرنا استعاري بطبعه.*

وبناء على مقترحات النظريتين يمكننا أن نميز في تحليل الاستعارة بين الاهتمام بالمقوّمات، حيث تحلّل الألفاظ انطلاقا من تحديدات المعجم، ومن جهة أخرى يمكن أن نميّز التحليل وفق المعرفة الموسوعية والذي يولي اهتماما لمختلف تجارب المتلقي التي تتدخل في عملية التحليل.

أ) التحليل بالمقوّمات:

لقد شاع هذا التحليل في معظم أعمال البلاغيين الأوربيين والأمريكيين، وقد قسمت المقوّمات إلى قسمين:[2]

1- **مقوّم ذاتي**: ويستخلص من المفردة في حد ذاتها، وهو يشير إلى المعنى المعجمي مثل [حي]، [الإنسان]، [ذكر].

2- **مقوّم سياقي**: ويؤخذ فيه بعين الاعتبار السياق، مثل: "الرجل يأكل":

- الرجل: [+ اسم، + ذكر، + بالغ، + إنسان ...].

- يأكل: [+ فعل مضارع، + مسند إلى إنسان ...].

وهذه المقوّمات منها مقوّمات جوهرية، وهي التي تكون ملاصقة للرجل، وهناك مقوّمات عارضة منها [+شجاع] ... حيث لا تكون سمة ملاصقة.

وتعتمد الدراسات المعاصرة للاستعارة على هذا التحليل، إذ تحلل التراكيب إلى مقوّمات ثم تنظر إلى مدى توافقها واختلافها؛ فكلما كثر التوافق صارت الاستعارة أقرب

1- ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص52، 53.

* أنظر الفصل الثاني من هذا البحث.

2- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص89.

إلى الحقيقة. وكلما كثر الاختلاف صارت هناك مسافة توتر وتباين، ولتوضيح هذا يسوق محمد مفتاح أمثلة محللة وفق هذه المقوّمات منها:[1]

- هذا الرجل	ذئب.
[+ معروف]،	[+نكرة]،
[+ معدود]،	[+ معدود]،
[+ حي]،	[+ حي]،
[+ من الثدييات]،	[+ من الثدييات]،
[+ إنسان]،	[+ كلبي]،
[+ بالغ]،	[+ ذو قوائم أربع]،
[+ ذكر]،	[+ مزوّد بذنب]،
[+ مزوّد باللغة]،	[+ ليلي]، [+ مخاتل]،
[+ ذو قدمين]،	[+ خبيث]، [+ مخيف للإنسان].

ويتضح من هذا التحليل بالمقوّمات أن هناك مراعاة للمؤشر النحوي والمقوّمات الجوهرية الموجودة في الواقع [الرجل]، وفي الواقع والاعتقاد معا [ذئب]. فإذا كانت هناك مقوّمات جوهرية في تحليل كلمة "ذئب" فإن هناك مقوّمات ناشئة بحكم الاعتقاد والعرف مثل [+ ليلي]، [+ خبيث]، [+ مخاتل]، [+ مخيف للإنسان]، ولكن مثل هذا التحليل المقبول لا يتوافر لنا دائما، ويقدم الباحث مثالا: "الرجل أسد"، حيث يعرّف "معجم روبير" [الأسد] بأنه من الثدييات اللحمية الكاسرة، وذو شعر أصهب ولبدة سمراء كثيفة عند الذكر؛ كما أننا إذا ركّبنا بين المقوّمات الواردة في الأسد؛ في اللغة العربية فإننا نجد مقوّماته هي: مفترس، وذو ذنب ...الخ، غير أن "الرجل" لا نجد له تعريفا جامعا مانعا في المعجم المذكور وإنما نجد له تحديد عند أصحاب التحليل بالمقوّمات، فهو لديهم [+حي]، [+ إنسان]، [+ بالغ]، [+ذكر]... وإذا ما وصفناه فقلنا: "إن الرجل مهذب" فإن

1- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص91، 92.

هناك مقوّمات عرضية تتضاف إلى المقوّمات الجوهرية من جراء هذا الوصف وهي: [+كريم النسب]، [+مؤدب]، [+لبق]، [+رقيق].[1]

وعلى هذا يرى محمد مفتاح، أن تعريف "روبير" للأسد تمتزج فيه المقوّمات الجوهرية بالأعراض، فالمقوّمات الجوهرية هي:

[+الثدييات]، [+ الافتراس]، [+ذو شعر]، [+ذو ذنب]. أما مقوّمات الأعراض فهي: [+أصهب]، [+ سمراء]. والغريب هو أن تعريف "معجم روبير" لا نجد فيه المقوّم الناتج عن الاعتقاد وهو الشجاعة، في حين أن المعاجم العربية لم تحصر الأعراض وهذا شيء إيجابي لأنها غير قابلة للحصر، ومن هنا يتبين آن هناك صعوبات تعترض هذا التحليل إذ لا يكاد المحلّلون يتفقون على قائمة نهائية من المقوّمات لكل لفظة لأنها تزيد وتنقص بحسب استعمال المتكلم وبحسب اختلاف البيئات.[2]

ويتجه بعض البلاغيين إلى أن التحليل بالمقوّمات يقتصر على التحديدات المعجمية وخصوصا تحديد المفردات التي يمكن أن تحلّل إلى مقوّمات ذاتية كالجنس والنوع والفصل، وهو ما يهمل سياق الخطاب ودلالته، وعدم مراعاة الدلالة الإيحائية مما يؤدي إلى تجميد المفردة وإفقادها حيويتها، وحتى في حالة إذا ما وفقت هذه المنهاجية المعجمية في تحليل المفردة إلى مقوّماتها النحوية والدلالية، فإن عملها يبقى تجزيئيا، كما أنها تناقض بعض الأوليات المعروفة في الدراسات اللغوية التاريخية وبعض المفاهيم المتداولة في بعض الدراسات مثل العلاقة والتفاعل والدينامية، التي تهتم بتداخل كل معارف الإنسان وعلاقته بالمحيط الاجتماعي والثقافي، وفي هذا الإطار تنبه "أمبرتو ايكو" إلى تدخل الموسوعة ودورها في تحليل الاستعارة.[3]

ب) التحليل وفق المعرفة الموسوعية:

نتيجة للثغرات التي يطرحها التحليل بالمقوّمات والإحساس بهيمنة التصورات الأرسطية في تحليل الاستعارة عبر العصور، ظهرت دراسات عديدة ومتشعبة حاولت الخروج عن الإرث الأرسطي باقتراح مفاهيم ونظريات جديدة مثل المعرفة الموسوعية

1- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص92.

2- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص93.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص26.

والتشاكل والعلم المعرفي التي اهتمت بدور القارئ (المتلقي) في عملية الفهم الاستعاري من خلال تفاعل هذه الحقول المعرفية، وسنتعرض إلى هذه المفاهيم في الفصل الثاني، في تحليل الاستعارة.

2- تأويل الاستعارة:

عرف مفهوم التأويل استعمالا مكثفا، من طرف مجموعة من العلوم التي أغنته ووسّعت من مفهومه، ونظرا لما يحيط بمسألة التأويل من تعدّد دلالي، وكثرة استعمال جعل "ايكو" يتناولها في أحد أهم كتبه وهو "الأثر المفتوح" الذي ركّز فيه على مقولة الإنفتاح التي تقتضي تفاعلا بين العمل الفني والمتلقي الذي يكون أثناء محاولته كشف وفهم العلامات مشروطا بثقافة محدّدة، وبأذواق وميولات تعمل على توجيهه إلى زاوية خاصة به، لذلك يذهب إلى أن العمل الفني حتى وإن كان شكلا منتهيا ومنغلقا ومنظما فإنه مع ذلك يبقى مفتوحا لكونه قابلا للتأويل بطرق مختلفة دون أن يؤدي ذلك إلى فساد خصوصيته، وإنما يتم عن طريق التفاعل بين العمل باعتباره معطى موضوعيا والذات المدركة هي التي تتولد عنها قراءات متباينة للنص الواحد.[1]

وتنفتح الاستعارة بحكم طبيعتها على سلسلة من التآويل التي تتعدد بتعدد السياق الواردة فيه حيث يتم فيها مراعاة الشروط الثقافية، والنفسية، والمقاصد، والأهداف. ولهذا سنقف عند السياق التداولي الذي يلعب دورا مركزيا في فهم الاستعارة وتأويلها والذي يكون فيه المتلقي عنصرا فاعلا ونشيطا، إضافة إلى السميائيات التي اهتمت بدورها لأهمية المعارف الموسوعية والتجارب في عملية التأويل والكشف عن كيفية اشتغال الخطاب.

1.2- الاستعارة والتداولية:

أشار العديد من الباحثين إلى أهمية عنصر التداول في اشتغال الاستعارة ونموّها فهي تلح في تركيبها على حضور متزامن للمتكلم والمخاطب ومقام الكلام بحيث من خلال تفاعل وتحاج كل هذه الأطراف؛ يكون المعنى ويتبلور الهدف.[2]

1- ينظر: رشيد الإدريسي، سمياء التأويل (الحريري بين العبارة والإشارة)، ط1، المدارس للنشر، الدار البيضاء 2000، ص14.

2- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص149.

1.1.2- نظرية التلفظ :

لقد أرسى "بنفنيست" (E.benveniste)، نظريته في التلفظ وهو يعني بذلك الفعل الذاتي في استعمال اللغة كمقابل للملفوظ باعتباره منغلقا عن الذات التي أنتجته، وبهذا أتاح دراسة تجلي اللسان في عملية التواصل ووظائف اللغة.

إن التلفظ عند "بنفنيست" هو فعل تشغيل اللغة بواسطة نشاط،[1] مما يجعل المتكلم يسخّر اللغة لصالحه وبناء المعنى الذي يريده من عملية التلفظ ومن هنا يرتبط الخطاب بمنتجه؛ فيغدو لكل فرد طريقة للتعبير عن أهدافه ومقاصده التي تتنوع وتتعدد. إننا نجد «نفس الموضوع ونفس الأصوات لكن لا يعاد إنتاجها بنفس الطريقة عند الفرد نفسه حتى وإن تكررت عملية التلفظ بكل تفاصيلها».[2] ذلك لأن عملية التلفظ تتحكم فيها مجموعة مركبة من المعيّنات (المبهمات déictiques)، كالضمائر، وأسماء الإشارة وزمن ومكان التلفظ، ويرى محمد خطابي أن هذه العناصر لها أهمية أساسية في فهم الرسالة (الخطاب) وتأويلها. يقول: «إن هناك بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل، ومن هذه الحدود المعيّنات؛ مثل: هنا، الآن، أنا، أنت، هذا، ذاك، فمن أجل تأويل هذه العناصر حين ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف (على الأقل) من هو المتكلم ومن هو المستمع، وزمان إنتاج الخطاب».[3]

وعملا بما قام به محمد خطابي الذي حاول استغلال هذه المفاهيم في الخطاب الشعري، سنحاول البحث عن نظرية للتلفظ في الخطاب الاستعاري على غرار الأسلوب المتبع في الخطاب اليومي، حيث بيّن إمكانية العثور في الخطاب الشعري القديم على عناصر التلفظ، إنه بإمكاننا العثور على الضمائر الدالة على المتكلم (أي الشاعر) والمتلقي والمناسبة، أي أن الشخص الذي يروي القصيدة يقيّدها بزمان ومكان محدّدين وحدث وشخصيات معلومة (موثوقة)، غير أن الشعر الحديث كما يرى محمد خطابي نادرا ما يوّفر هذه المعلومات، إذ أن الضمائر الدالة على المتكلم "أنا / نحن" ومؤشرات الزمان

1- Emil benveniste, problème de linguistique générale, T02, Gallimard, paris 1974, P. 80.
2-Ibid, P. 83.
3- محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006 ص297.

والمكان لا تحيل بالضرورة إلى مرجعها،[1] وهو ما يمكن إسقاطه على القول الاستعاري في الخطاب السياسي، حيث تحيل بعض الاستعارات إلى المتكلم والمتلقي، وزمان ومكان التلفظ. ومن ذلك:[2]

- «أرفع تحية الإكبار» = (الإحالة إلى المتكلم: المخاطب).

- «لا يفوتني أن أزج الشكر... إلى أولئك الذين لم يدخّروا أي جهد لمرافقتي» =(المخاطب + المستمع).

- «أغتنم فرصة اعتلائي هذا المنبر» = (المكان: المنبر. وهو مكان الحملة، +الزمان: فترة الحملة الانتخابية).

غير أن هناك استعارات يصعب فيها تحديد هذه الحدود اللغوية، بحيث لا تشير إلى مرجعها الحقيقي. ومنها:

- «تتكفل الدولة / تعزّز الدولة»: حيث يصعب تحديد الدولة تحديدا دقيقا؛ فهي مفهوم مبهم لا يحيل مباشرة إلى صاحبه.

- «نقضي على بؤر التوتر»: هل يحيل فعل القضاء على الدولة أم الشعب؟ أم فئة معينة من الأفراد؟.

- «لم يعد اليوم شبح المأساة الوطنية يخيّم على بلادنا».

إن مؤشر الزمن في هذه البنية: "اليوم"، لا يحيل إلى الزمن الحقيقي وهو الفترة الممتدة من الصباح إلى المساء وإنما يتحدّد وفق التحولات التي شهدها الوطن في السنوات الأخيرة من استقرار وقضاء على الفتن والأزمات.

- «إن الأغلبية... قد تبنتها (المصالحة الوطنية) لفتح الباب على مصراعيه». فمؤشر المكان بدوره "الباب"، لا يحيل إلى المرجع الحقيقي.

وبهذا نخلص إلى أن الاستعارة قد تحيل إلى هذه المعيّنات، كما يمكن أن لا تشير إلى مرجعها الحقيقي، لكن المستمع يخلق «عالما يمكن أن يصبح جزءا من عالمه الواقعي الخاص به».[3]

1- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص299.

2- ملحق1.

3- االمرجع السابق، ص301.

وفي هذا الصدد يربط "ايكو" (U.Eco) الاستعارة بالعالم الممكن، ويرى أن النظر إلى الاستعارة باعتبارها ظاهرة مضمونية معناه القول أن علاقاتها بالمرجع علاقة غير مباشرة، وبهذا لا يمكن لهذا المرجع أن يكون معيارا لتأكيد صحتها، إذ أن الأخذ بها في حرفتيها ستبدو عبثية وزائفة، فليس من الضروري أن يكون الزيف زيفا مرجعيا ولكنه زيف موسوعي (غلط)، ويضرب لذلك العبارتين: "تسيل الوردة" و"هذا الرجل وحش" حيث تظهر كل بنية أنها غير مقبولة إذا اعتمدنا على الخصائص التي تسندها الموسوعة لـــ "الوردة" و"الرجل". ولهذا يرى أنه من الوسائل التي تجعلنا نعالج الاستعارة معالجة مرجعية، وجوب النظر إليها في بعدها الحرفي والقيام بعد ذلك بإسقاط مضمونها على عالم ممكن. إن تأويل الاستعارات عند "ايكو" يرتكز على تخيل عوالم ممكنة حيث "تسيل الورود" وحيث يكون "الرجل وحشا"، ولا يمكن أبدا أن تؤخذ بشكل منافي للمعنى الواقعي، ولا يمكن أن نفرض شروطا خيالية نستند إليها في القول بأن المؤول لا يقصد قول الحقيقة، فمن خلال الفعل التأويلي، نقر أن قراءة الملفوظ يجب أن تكون استعارية وليس النظر إليها من حيث تطابقها مع الواقع.[1] وفي هذا الصدد يتعرض "ايكو" إلى مسألة مقبولية الاستعارة، التي يسعى من خلالها البحث عن إمكانية خضوع الاستعارة لقواعد المحادثة.

2.2.2- مقبولية الاستعارة:

يقف "أمبرتو ايكو" عند الوجه التداولي للاستعارة، فيطرح مسألة مقبوليتها لا من حيث حدودها الصدقية أو إمكانية استخراج دلالات صادقة من الملفوظ الاستعاري، إنما تتعلق مسألة المقبولة عنده بإمكانية خضوعها لقواعد المحادثة.[2]

عرف المبدأ التداولي للتخاطب باسم مبدأ التعاون الذي ورد عند الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس"، ووضع مجموعة من قواعد التخاطب يمكن تلخيصها في ما يلي:[3]

1- ينظر: أمبرتو ايكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، تر: سعيد الغانمي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص156، 157.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص237، 238.

3- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، 1998، ص238.

أ) قاعدتا كم الخبر وهما:

- ليكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

ب) قاعدتا كيف الخبر وهما:

- لا تقل ما تعلم كذبه.
- لا تقل ما ليست لك عليه بنية.

ج) قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال وهي:

- ليناسب مقالك مقامك.

د) قواعد جهة الخبر وهي:

- لتحترز من الالتباس.
- لتحترز من الإجمال.
- لتتكلم بإيجاز.
- لترتب كلامك.

لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة، غير أن إخضاع الاستعارة لهذه القواعد التخاطبية يجعلنا نفكّر في كيفية اختراقها لهذه القواعد، فنجد أن النشاط الاستعاري ينتهك مبدأ الكم الذي يلح على ضرورة أن تكون المساهمة المعلوماتية لا تتعدى القدر المطلوب، إنما تكون وفق ما تستلزمه وضعية التبادل، في حين أن الاستعارة تتعدى حدود هذا القدر وذلك لانفتاحها وخضوعها للتأويل كما أنها تخرق قاعدة الكيف والذي يستلزم الصدق والنية في تبليغ المعلومات فهي تأتي لتراوغ هذه النية فتخرق بذلك قاعدة العلاقة أوالمناسبة وهو ضرورة أن يناسب الحديث الهدف الذي يرمي إليه، مع خرقها أيضا لمبدأ قواعد الجهة وهو ضرورة الوضوح وبالتالي يرى "ايكو" أن منشأ الاستعارة في الظاهر كاذب، فمن يقوم باستعارة فهو في الظاهر يكذب ويتكلم بطريقة غامضة وملتبسة، وتبعا لذلك فعندما يتكلم شخص ما منتهكا جميع هذه القواعد ويفعل ذلك بطريقة لا تجعلنا نظن أنه أحمق أو أخرق، إنما نكون أمام وضع استلزامي، فمن الواضح أن المتكلم يريد قصد شيء آخر.[1]

1- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، ص238.

وبهذا يظل القول الاستعاري متعلقا بالتمثلات الذهنية والتجارب الذاتية التي يكوّنها الإنسان عن العالم انطلاقا من العمليات الشعورية التي تتحول إلى قصد معين؛ إذ أن كل محاولة لتطبيق قواعد المنطق الشكلي (الوضعي) لقيم الصدق على الاستعارة لا يمكن أن يغيّر ميكانيزمها الدلالي.[1]

ويتضح بذلك أن الاستعارة تستدعي سلسلة من الاستدلالات والتأويلات التي تستند إلى الموسوعة المرتبطة بالنظم الاجتماعية والثقافية وتدخل السياق انطلاقا من مقصدية منتجها.

3.1.2- المقصدية:

تبنى "غرايس" في العملية التواصلية ضرورة وجود المقصدية والتي ربطها "سورل" (J.R.searl) بالاستعارة حين تساءل عن مقصديتنا من استعمال بعض التعابير الاستعارية عوض التحدث مباشرة عما نوده.

هدّم "سورل" الفرضية التي تقول بازدواج المعني داخل الجملة وذلك في التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى الاستعاري، حيث ينظر إلى القضية من وجهة أخرى مفادها أن الجملة تمتلك معناها فقط، وعندما نتحدث عن معنى استعاري فإننا نتحدث عن المقصديات الممكنة للمتكلم، وعن إرادته في قول شيء ما بطريقة ينزاح فيها عما تعنيه العبارة في ذاتها، ولهذا فإن مشكلة الاستعارة عنده مشكلة لغوية عامة هي تفسير الكيفية التي ينعزل بها المتكلم عن معنى الجملة؛ فما يريد قوله لا يطابق ما تريد أن تقوله الجملة، لهذا يميّز بين معنيين:[2]

أ) المعنى الأول هو معنى تلفظ المتكلم.

ب) المعنى الثاني هو معنى الجملة.

وبهذا يكون المعنى الاستعاري دائما هو معنى تلفظ المتكلم. وبناء على هذا التصوّر الذي يقدمه "سورل"، فإن تأسيس نظرية للاستعارة ينبغي تحديد المبادئ التي تصل المعنى الحرفي للجملة بالمعنى الاستعاري للتلفظ، وهي مبادئ لا تتعلق بالقدرة

1- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق المغرب، 2006، ص116.

2- J. R. Searle, sens et expression, les édition de minuit, Paris 1979, P.121, 122.

الدلالية بالمعنى التقليدي للمصطلح بل بالسؤال الخاص باشتغال الاستعارة داخل الخطاب وكيفية تمثل الدلالة، حيث يكون في حالة التلفظ الحرفي معنى المتكلم ومعنى الجملة متطابقين لكن في حالة التلفظ الاستعاري فإن شروط صدق القول لا تكون محدّدة بواسطة شروط صدق الجملة وحدّها العام، فمن أجل فهم التلفظ الاستعاري، فإن المستمع في حاجة إلى أكثر من معرفة اللغة، فمن واجبه أن يقوم بتهيئة مبادئ أخرى تسمح له بفهم أن المتكلم حين يريد أن يقول شيئا فإنه يريد شيئا آخر.[1]

إن الاستعارة عند "سورل" لا تتعلق بمعنى الجملة بل بمقصد المتكلم، بهذا يميز في تحليله للاستعارة بين نمطين، وذلك بافتراض عملية مقارنة لبعض الاستعارات يؤكد بها أو يفسر معنى قول المتكلم، ومعنى الجملة وهما:

- النمط الأول: دلالي يركز على تأكيد معنى القول أو يتضمن بشكل أو بأخر مقارنة ملائمة؛ أي مقارنة مع استعارات أخرى مرتبطة بسياق ما.

- النمط الثاني: تداولي يركّز على أن تأويل الاستعارة يمر عبر إجراء مقارني لا يختلف عن الإجراء الذي يحقق مقارنة ملائمة. وإن القول بأن العملية التأويلية للاستعارة تعادل الإجراء المقارني يعني أن عملية تأويل الاستعارة تمر عبر معالجة مكوينيها، والبحث عن خصائصهما المشتركة مع تحديد الخصائص التي يقصدها المتكلم حين ينتج قولا استعاريا، وهذا التأويل لا يمر دون إثارة مشاكل تأويلية. فيشير "سورل" في تحليله إلى أن معنى قول المتكلم لا يمكن صياغته لسانيا لأنه يتحدث عن الاستعارة باعتبارها تلائم قول المتكلم (أي مقصده) أي أن س هي ج (زيد أسد) ويتدخل التأويل فقط من أجل الوصول إلى معنى القول عن طريق معنى الجملة.[2]

وفي نفس الاتجاه اعتبر "ايكو" أن فهم الاستعارة هو أيضا وبشكل لاحق، فهم لماذا اختارها صاحبها. إن بناء العالم الداخلي للمؤلف (باعتباره مؤلفا نموذجيا) هو بناء لفعل التأويل الاستعاري وليس واقعا سيكولوجيا (وهو أمر لا يمكن العثور عليه خارج النص) يبّرر التأويل ذاته، وبهذا تقود هذه الملاحظة عند "ايكو" بالعودة إلى قصدية الباث، غير أنه يؤكد أن قصدية المتكلم لا تكون حاسمة في التعرف على الطابع الاستعاري لملفوظ

1-J. R. Searle, sens et expression, P.130.

2- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص116، 117.

ما، ويضرب لذلك العبارة التالية: «إن شيرلوك هومز هو ضرو دقيق»، فهي تستدعي قراءة استعارية بقوة العادة الإيحائية بعيدا عن قصدية المتكلم. ويخلص إلى أن التأويل الاستعاري ينبثق من التفاعل بين المؤوّل والنص، ولكن نتيجة هذا التأويل تفرضها دائما طبيعة النص وطبيعة الإطار العام للمعارف الموسوعية والتجريبية لثقافة ما.[1]

4.1.2- نموذج المشابهة والتواصل:

يؤشّر طرح "سبيربر وويلسون" بشكل قوي على أهمية السياق التداولي في إطار فهم جديد للاستعارة ضمن مبدأ الوجاهة، بحيث أن المتكلم لا يهمل وضعية القارئ والمستمع أثناء انتاج المتوالية اللفظية والقارئ بدوره ينطلق من مبدأ المتكلم بضرورة التعاون والوجاهة لتأويل الاستعارة.[2]

ينطلق المؤلفان من فكرة أن كل تعبير لفكرة المتكلم بدون استثناء، يجد له تأويلا لدى السامع انطلاقا من فكرة أن هناك ثمة مشابهة بين قول وفكر ما، وفي هذا الاتجاه تراهن الاستعارة على علاقة المشابهة التي تعمل على استكشافها بطريقة مبدعة وهو ما يؤكد على دور المشابهة في التواصل، إذ يمكن لأي شيء أن يستعمل لتمثيل شيء آخر يشبهه ويقتسم معه خصائص بارزة، كما يمكن للقول أن يمثل قولا آخر لأنه يقتسم معه خصائص منطقية ودلالية؛ لكن الأقوال ليست وحدها الموضوعات الحاملة لمثل هذه الخصائص وإنما الأفكار هي الأخرى لها محتوى وحاملة لخصائص دلالية ومنطقية بحيث يمكننا أن نستعمل قولا من أجل تمثيل فكرة يشبهها عن طريق محتواه.[3]

غير أن الحديث عن المشابهة يطرح بعض المشاكل حيث يجعلنا نتساءل عن مكمن المشابهة بين القول والفكر، وعن كيفية تعرف المستمع على درجة المشابهة المرغوب فيها إضافة إلى التساؤل عن كيفية تحديد منبع الفكرة المماثلة. وفي ظل هذه المشاكل يقترح المؤلفان حلولا لها انطلاقا من مفهوم "الوجاهة"، فيشير هذا المبدأ إلى «الاستنباطات التي يقوم بها المتلفظ المشارك بجعل المعلومات الجديدة التي يحويها

1- ينظر: أمبرتو ايكو، التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ص159، 160.

2- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص155.

3- نقلا عن: Syperber, wilson, ressemblance et communication, Folio-Essais 1992, P.212.

الملفوظ تتفاعل مع المعلومات المكتسبة سابقا، وكلما غيّرت المعلومات الصادرة عن الملفوظ السياق، كلما كان هذا الملفوظ أكثر وجاهة».[1]

إذن يشتغل مبدأ الوجاهة «كمحرك لعمليات التأويل على مستوى النظام المركزي للذهن»،[2] إذ أن هذا المبدأ موجود مسبقا عند الإنسان ولا يعرف الاستثناء فهو يسعي آليا وفي كل نشاط معرفي إلى تحصيلها، لهذا يتفاعل معها المتلقي فتحدّد له الفهم وهو ما يجعلها مبدأ تعاوني أساسي ضمن النظرية التداولية، وهو مبدأ يعي معيار الاقتصاد في الجهد وفائدة في تحصيل النتيجة، ويراعي شروط المتكلم ومقتضيات الأحوال، غير أن هذا المبدأ يختلف عن مبدأ التعاون الكرايسي، والمبادئ التي تفرّعت عنه باعتبار أن هذه المبادئ معايير وقواعد يجب على المخاطبين معرفتها من أجل تحقيق التواصل الفعّال إلا أنهم يمكنهم خرقها في حين أن الوجاهة لا يستطيعون خرقها حتى ولو أرادوا ذلك، لأنها موجودة مسبقا.[3]

وداخل هذا التصوّر الذي يقيمه المؤلفان، يتم طرح الاستعارة خلافا للنموذج الكلاسيكي الذي يجعل من المشابهة هي المبدأ المؤسس للاستعارة، حيث يؤكد الباحثان أن المشابهة الواسعة تربك الاستعارة عوض أن تسهّلها، لهذا فهي لا تستطيع أن تؤسس الاستعارة إنما عوض الانطلاق من مشابهة خاصة بالاستعارة الواحدة بين المعاني نقترح تفسير التأويل الاستعاري لبعض الأقوال بواسطة الهيئة الخاصة التي يمكن أن تأخذها سيرورة مشتغلة في تأويل كل قول.[4]

إن الرئيس حينما ينطق بعبارة: «...إنني أرى الدنيا وردا»،[5] يجعلنا نتساءل عن المشابهة القائمة بين "الدنيا" و"الورد"، فهي تبقى صعبة التصوّر بشكل غير استعاري وبهذا فإن المشابهات التي تأتي إلى الذهن تنتج عن التأويل الاستعاري. وهنا يحضر مفهوم الوجاهة الذي يعيد تأسيس المشابهات ولا يستلزم بأي حال أن تكون المشابهة الضعيفة بين الفكرة

1- دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1، دار الاختلاف، الجزائر، 2005 ص86.

2- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص33.

3- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص159.

4- ينظر:المرجع نفسه، ص160.

5- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، المؤسسة الوطنية للنشر، 1999، ص45

والتعبير هي أقل مقبولية من مشابهة قوية، فدرجة المشابهة لاتهم وإنما تهمنا السهولة التي بواسطتها يمكننا إعادة تأسيس المشابهة، حيث يلعب فيها السياق الحاضر دوره ويجعلنا نكتشف هذه المشابهات أو نبنيها. وعلى هذا الأساس الذي ينظر من خلاله المؤلفان إلى مسألة المشابهة والتواصل، فإن الاستعارات ترتكز على ميكانيزمات بسيكولوجية فهي لا تؤسس انزياحا بالنسبة إلى معيار، أو أنها خرق لقاعدة أو لمبدأ تواصل، إنها ببساطة عندهما استثمارات إبداعية وإلهامية لمظهر أساسي لكل تواصل لفظي، حيث أن كل قول يشبه فكرة المتكلم بدرجة متفاوتة ومحددة داخل كل حالة بواسطة اعتبارات الوجاهة.[1]

وبهذا تتحّدد قيمة الاستعارة ضمن النسق التداولي التواصلي انطلاقا من الترابط بين درجة المشابهة ومقبولية الاستعارة، وهذا الطرح مضاد بداهة للتصور الكلاسيكي الذي ينظر إليها كفعل انزياح عن قاعدة أو خرق لمبدأ التواصل.[2]

2.2- الاستعارة والاتجاهات السميائية:

يرى محمد مفتاح أن الاتجاهات السميائية قد حافظت على أطروحة تقسيم معنى النص إلى ظاهر وباطن، لهذا نجد في القسمة الثنائية، المعنى الظاهر والمعنى الباطن أو تحت أسماء وشعارات أخرى: المعنى الظاهر / المعنى العميق، التشاكل المعطي/ التشاكل المبني؛ وهو ما يفرض استخلاص المعنى من تحليل النص؛ وليس هناك معنى موجود مسبقا، فالتحليل هو الذي يفرض مرجعا وموضوعا معينا معبرا عنه بتشاكلات لغوية.[3]

وسنتعرض فيما يلي إلى "سيرورة بيرس" التأويلية، ومحاولة تطبيقها على القول الاستعاري الوارد في الخطاب السياسي، ثم نرصد طرح "جوليا كريستيفا" للاستعارة من خلال تحديد مفهومها للنص والذي تعتبره كإنتاجية؛ يخفي مختلف أنظمة البنية الاجتماعية والاقتصادية.

1- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص160، 161.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 161.

3- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص100.

1.2.2- بيرس والسيرورة التأويلية:

لن نقوم في هذا المقام بعرض نظرية "بيرس" في كليتها، ولكن نكتفي بالإشارة إلى خطوطها العريضة، والتركيز على نظرية المؤوّلات (interprétants) ومحاولة تطبيقها على الاستعارة، بالاعتماد على حقول المؤول التي حددها بيرس.

يعتبر " بيرس " العلامة وحدة ثلاثية المبنى، حيث يكون الماثول (représentamant) هو الأداة التي نستعملها في التمثيل لشيء آخر يطلق عليه "بيرس" الموضوع (l'objet) وفق شروط خاصة في الإحالة يوفّرها "المؤوّل" باعتباره الشرط الضروري للحديث عن سيرورة تدليلية تضم كل التجارب والمعارف المشتركة بين الباث والمتلقي، وعلى هذا الأساس يمكن تناول المؤوّل باعتباره يشكل نقطة إرساء أولى للمعنى.[1]

واستنادا إلى هذا يميز "بيرس" بين الموضوع المباشر والموضوع الدينامي، حيث تمثل المعرفة المباشرة المعطاة من خلال العلامة الموضوع المباشر، بينما يقدم الموضوع الدينامي معلومات كافية للتأويل انطلاقا من السياق الخارجي للنص كعلامة وهو ما يفتح المجال نحو مسارات تأويلية، ويميز "بيرس" بين ثلاثة حقول للمؤول:

أ- **المؤوّل المباشر** (interprétant Immediat): وهو الممثل في العلامة المباشرة ويعتبر نقطة انطلاق التأويل، وهو لا يقدم لنا معرفة بل يكتفي فقط بإدماج الممثل في حركة التأويل.

ب - **المؤوّل الدينامي** (interprétant dynamique): يوفّر المعلومات الضرورية للتأويل فهو يمثل الأثر الذي تولده العلامة في الذهن.[2]

والجدير بالذكر أن الفرق الموجود بين الموضوع المباشر والموضوع الدينامي من جهة والمؤوّل المباشر والمؤوّل الدينامي، من جهة أخرى؛ كون الموضوع يعود إلى معطيات موجودة قبل تدخل الشخص المدرك لهذه المعطيات القابلة للوصف بشكل مباشر في

1- ينظر: سعيد بن كراد، السميائيات والتأويل (مدخل لسميائيات ش س بورس)، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب 2000، ص135.

2- ينظر: محمد الماكري، الشكل والخطاب(مدخل لتحليل ظاهراتي)، ط1، المركز الثقافي العربي، 1991، ص55.

الموضوع المباشر وبشكل غير مباشر مع الموضوع الدينامي، أي معطيات خارج فعل التأويل، في حين أن المؤول يتدخل القارئ للتأويل.[1]

ج) **المؤوّل النهائي** (interprétant final)**:** وهو الذي يوقف سلسلة الإحالات غير النهائية ليحدّد دلالة ما داخل نسق معين. ويأخذ ثلاثة أشكال:

- المؤوّل النهائي الأول: ويعبر عادة على التجربة الجماعية أكثر من الفردية؛ وبناء عليه فإن المؤول النهائي الأول هو ميدان الإيديولوجيا.

- المؤوّل النهائي الثاني: ويشكل المعرفة التي يستند إليها شخص ما في تخصص ما ويمكن التأكد من صحته أو من خطئه، على عكس المؤول النهائي الأول الذي لا يمكن مراقبته.

- المؤوّل النهائي الثالث: ويعتبر مؤولا نسقيا، فهو مفصول عن أي سياق ويوجد خارج أي تحديد عرضي إذ أنه لا يقتضي تجربة معينة.[2]

وعلى هذا الأساس فإن المسيرة التأويلية عند بورس، تنطلق من المؤول الذي يغرف عناصر تأويلية من مصادر متعددة الثقافي، والإيديولوجي، والخرافي والأسطوري والديني، وكل ما يمكن أن يساهم في اغناء التأويل وتنويعه، ومن خلال هذا فإنه يدرج السميوز ضمن دائرة لامتناهية، ولعل هذا ما دفع الكثير من القائلين بحرية التأويل ولا محدوديته، ومع ذلك فإنها تعد في الممارسة سيرورة محدودة ونهائية، فالسياق ليس سوى محاولة لعزل واقعة معينة، وهذا معناه تخليص الواقعة من كل ما لا يستقيم داخل هذا السياق وهذا ما يفهم من التعريف الذي يقدمه بورس للمؤول النهائي؛ الذي يعتبر محطة نهائية داخل سيرورة التأويل ويعد هذا الأفق شكلا نهائيا ستستقر عليه هذه السيرورة ويتعلق الأمر بما يسميه بورس بالعادة؛ إذ تمثل عالم الأفكار الجاهزة وهي وليدة علامات سابقة، ولهذا فإن العلامات هي التي تؤدي إلى تدعيم أو تغيير العادات ولعل هذا ما لا يجعل من "النهائية" مضمونا زمنيا، حيث ما يبدو كنهاية منطقية لسيرورة دلالية ما سيتحول من جديد إلى نقطة بدئية داخل مسير دلالي آخر.[3]

1- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص100.

2- ينظر: سعيد بن كراد، السميائيات والتأويل، ص104.

3- انظر الفصل الخامس من المرجع نفسه.

وسنقوم فيما يلي بتحليل الاستعارة «لقد تم ضبط حدود حلم الدولة»،[1] وفقا للتحليل السميوطيقى البيرسي وسنبدأ بتحديد موضوعها لنصل إلى عملية التأويل واستنباط الدلالة.*

1. الموضوع المباشر والموضوع الدينامي: تحتوي الاستعارة على معرفتين، فهناك أولا موضوع الدولة؛ هذه الدولة التي نعرف عنها أشياء كثيرة قبل دخولها في السياق فهي تشير إلى رقعة جغرافية معينة، ووجود شعب يعيش فيها، تتضمن منشآت وأراضي وأملاك. ونحن نعلم ما يقوله عنها المجتمع بمختلف طبقاته، وما يقوله الاقتصادي ورجال الدين، والشعراء، وغيرها من المعلومات التي لا يمكن تفسيرها إلا من خلال استحضار التجربة الإنسانية وتفاعلها مع السياق الاجتماعي والثقافي، فيحيّن المتلقي داخل السياق جزءا منها ويضمر الباقي، وبدوره فإن موضوع "الحلم" يحدّد جملة من المعارف تختلف باختلاف مجال استعماله، فما يقوله علماء النفس غير ما يقوله علماء الدين، ومع ذلك فإن الحلم غالبا ما يرتبط بطموح الإنسان وآماله، فهو يرغب من خلاله بتحقيق الأفضل لمستقبله. وبهذا يمكن التمثيل السمي لهذه الاستعارة كما يلي:

الحلم ←———	الدولة
[+ معنوي]	[+ مادي (منشآت)،
[+حي]	+أملاك +شعب]
[+ متعدد]	[+ تختلف وتتعدد]
[+مرتبط بإنسان]	[+ ترتبط بشعب ما ورقعة جغرافية معينة]
[+السعي إلى الأفضل]	[+العمل على تحقيق التقدم]

وبالتالي فإن عملية إسناد: "الحلم للدولة" نتج عنه معلومة جديدة، أضيفت إلى باقي المعلومات الأخرى؛ تمثل هذه المعلومة الجديدة الموضوع المباشر بينما المعلومات الأخرى الضمنية غير مباشرة تشكل الموضوع الدينامي، وهو جعل الدولة بمثابة شخص يسعى إلى تحقيق الأفضل، ويعمل على توسيع مصالحه وأهدافه.

1- الملحق1.

* اعتمدنا في تحليلنا على تحليل سعيد بن كراد لمثال "السماء زرقاء"، في كتابه "السميائيات والتأويل"، ص85-87.

وإذا ما أخضعنا هذه الاستعارة للتأويل فإننا تتحصل على ما يلي:

1) المؤوّل المباشر: وهي كما أشرنا معرفة لا تخرج عن سياق البنية ولا تمنحنا معلومات كافية، وهو أن للدولة حلما أو مشروعا ما قد تم تحقيقه وتجسيده على أرضية الواقع.

2) المؤوّل الدينامي: ويفتح التأويل على سلسلة من الإحالات، لكنها لا تنفصل عن موضوع الدولة، وهو أنها تسعى دوما إلى تحقيق مصالحها وتعزيز أملاكها، لهذا يمكن أن يكون حلم الدولة:

- بلوغ التطور والارتقاء وتجاوز الأزمات.
- التخلص من الديون والتبعية الأجنبية.
- تحقيق مبدأ الديموقراطية والعدالة والمساواة.
- توسيع المنشآت الاقتصادية والاجتماعية.
- إعادة هيكلة مختلف أجهزتها (السياسية، الثقافية، القانونية...)، وغيرها من التأويلات التي يمكن أن تلحق بالبنية الاستعارية.

3) المؤوّل النهائي: يأتي ليوقف هذه الإحالات، فيمكن أن نقول عن:

- المؤول النهائي الأول: أن الدولة قد حققت تقدما وتطورا في مختلف قطاعاتها وهو ما يعبّر عن التجربة الجماعية للأفراد، إذ أنهم غالبا ما يربطون هذا الحلم بالتطور.
- المؤول النهائي الثاني: وفيه سنستفيد من سياق الخطاب وما يتعلق به من الإطار الزمني والظروف المواتية لإلقائه، حيث ألقى في إطار تطبيق سياسة الوئام المدني ونجاح هذه السياسة بتحقيق الاستقرار وتعزيز الأمن في أرجاء الوطن، وبالتالي يتجلى هذا الحلم في إعادة السلم والقضاء على الفتن، ويخص الدولة الجزائرية في مرحلة من مسارها لتحقيق التطور والقضاء على أشكال اللااستقرار.
- المؤول النهائي الثالث: ويمكن أن يتخذ كشعار وطني مستمد من المصالحة الوطنية وهو ما يؤكد " حلم الدولة ".

وبهذا نخلص إلى أنه بالإمكان تحليل الاستعارة وفقا لسيرورة "بيرس" التأويلية حيث نستفيد من إطار السياق الداخلي والخارجي للنص، وهو ما يساهم في كشف الدلالة مما يجعل من عملية التأويل تختلف باختلاف الثقافات والتجارب المعتمدة التي يحدّدها

طبيعة السياق، كما تتدخل أيضا أهداف المتلقي الذي يحاول ربطها بتجاربه الخاصة، ومن ثم «تندرج الاستعارة ضمن مناخ فكري جديد تتعالق فيه مجموعة من العلوم والمعارف التي تقارب الاستعارة من منظور يراعي أنها مؤسسة لنسيج النص وأنها شكله الأرقى لعالم الأفكار والصوّر».[1]

2.2.2- رمزية الاستعارة عند جوليا كريستيفا (J. kristeva):

تطرح جوليا كريستيفا مسألة الاستعارة من خلال تحديد مفهومها للنص، والذي تعتبره كإنتاجية، فهو لا يكتفي بتصوير الواقع أو الدلالة عليه وإنما يشارك في تحريكه وتحويله.[2]

وفي ظل هذا المفهوم يغدو النص مجالا لممارسات دالة؛ تجتمع فيه مختلف العلاقات اللاواعية والذاتية والاجتماعية، وتشتغل فيه دون توقف تكون فيها مبادئ المجاز والاستعارة موجودة لاقتصاد الميولات التي يتضمنها النص وهو ما يجعل من الاستعارة عنصرا رمزيا، يشتغل داخل النص وينبثق ضمن مجموعة من الأطر والمفاهيم الاجتماعية واللسانية.[3]

يتحدّد نمط الخطاب عند كريستيفا، سواء كان نصا سرديا أو شعرا، أو أي شكل من أشكال الخطاب وفق ما يؤديه السيمائي والرمزي من وظيفة خاصة. إن الرمزي كما ترى الباحثة مشدود إلى علاقة الدال (الكلمة) / والمدلول (التصور)، حيث تنزاح فيها الذات نحو وضعيات مختلفة للموضوع المتحدث به؛ وهذه العلاقة عندها ليست اعتباطية وإنما هي علاقة معللة (رمزية)؛ وعندما نصل إلى تعليل لهذه العلاقة وتحديدا في المذهب الفرويدي في اللاشعور عن طريق نظرية الاندفاع الغريزي نصل إلى ما تسميه الباحثة بالسميائي.[4] وبهذا فإن الخطاب يتضمن السميائي والرمزي، ولا نصل إلى تفسير العلاقة الرمزية أي الوصول إلى السميائي إلا عن طريق اختراق الرمزي الذي يحمل كل

1- سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص161، 162.

2- ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب، 1997، ص09.

3 -Julia Kristeva, la révolution de la langage poétique, l'avant-garde à la fin du 19eme siècle: Lautréamont et Mallarmé, édition du seuil 1974, P.28.

4- Ibid, P. 22.

التطورات والعلامات النفسية والاجتماعية، فيعد جانبا تحفيزيا للتدليل على كيفية اشتغال النص من خلال مبادئ الإزاحة أو التكثيف والاستعارة.[1]

وبهذا نصل إلى أن الاستعارة عند كريستيفا تحمل كل الشحنات التي تفرضها البنية العائلية والاجتماعية، وهي علامة لركود الاندفاعات والميولات التي يتلفظ بها (المتكلم) تتابعيا إما عن طريق الانزلاق أو عن طريق التكثيف مما تسمح له باقتصاد ميولاته؛ إذ أن قسر العائلة وإرغامات البنية الاجتماعية والبيولوجية تعمل على ركودها وعزلها فتطرح كل شكل استعارات تجنبا لرقابة المتجمع وهو ما تطلق عليه تسمية: (la chora) باعتبارها مجموعة معبّرة متكونة عن طريق كبت النزوات والميولات وركودها.[2]

واستغلالا لما طرحته "جوليا كريستيفا"، تغدو الاستعارة وسيلة لتحديد اشتغال البنية الاجتماعية، بكل ما تتضمنه من أنظمة اقتصادية، وثقافية، ونفسية، وبالتالي يمكن أن نقول عنها بأنها وسيط فعال للكشف عن هذه الأنظمة. وتعد دراستها لشعر "ملارميه" (Mallarmé) الذي تعتبر لغته في الأغلب لغة استعارية اكتشافا للذات التي أنتجته عبر فضاءات رمزية تعمل على تمرير إيقاع الميولات الموسومة بالرفض في المجتمع، وهو ما يؤدي بنا إلى القول أن عملية التأويل والكشف عن أشكال هذه الأنظمة يتطلب تقاطع وتداخل مختلف العلوم، بغية اكتشاف الجانب المادي الذي يغطي الاستعارة.[3]

ومن هنا تغدو الذات المتكلمة (المنتجة) لدى كريستيفا هي نفسها خطابا يحمل كل خصائصها وميولاتها، فهي تنقش ضمنه ذاتها بصورة رمزية، ومعبرة.[4] وبذلك تساهم الاستعارة لأن تكون بديلا لهذه الذات ترمز بموجبه إلى الواقع الذي تتفاعل معه فتشتغل فيها كل بنياته وتعقداته، ويضعنا هذا التصور إلى اعتبار أن التأويل متعلق بقوى داخلية وخارجية للمعرفة المنشطة مع بنية السياق، حيث «نتوسل به للتفاعل مع بنية النص لذلك

1- Julia Kristeva, la révolution de la langage poétique, P.28.

2- Ibid,, P.30.

3- Ibid, P.28-30.

4 - ينظر: ج هيو سلقرمان، نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002، ص263.

فإنه (التأويل) فهم قابل للنقاش؛ إذ لا نقف من خلاله إلا على جزء من هذا الذي يستتر خلف النص ويكمن داخله».[1]

3)- التأويل والموسوعة:

يلح "أمبرتو ايكو" على ضرورة التفريق بين تأويل النص وبين استعماله، ففي حالة استعمال النص فإنه بالإمكان-حسب ايكو– أن يقرأ هذا النص في علاقته بسياقات ثقافية متعددة، كما يمكن استعماله لأجل غايات شخصية (كالتأمل الذاتي)، ففي هذه الحالة لا نراهن على نوايا المؤلف بل على نوايا النص، في حين فإننا في عملية تأويل النص يتوجب علينا احترام خلفيته الثقافية واللسانية التي أنتجته، وهو ما يقودنا إلى اعتبار أن التأويل يختلف باختلاف الثقافات كما أنه يتعدد بتعدد القراء، وهو يشير بذلك ما أطلق عليه "الموسوعة الثقافية".[2]

تتدرج الموسوعة الثقافية عند "أمبرتو ايكو"، أولا في سياق استثمار مجموعة من المفاهيم الأساسية من أجل تحديد العمل التأويلي بين القارئ والنص؛ كون أن النص ألة كسولة تفرض على القارئ عملا اشتراكيا من أجل ملء فضاءات اللامقول أو المقول وبهذا تكون فهرسا مضمرا ومقتضى من قبل النص ومحيّنا من طرف القارئ.[3]

ويعتبرها "ايكو" مسلمة سيميائية تتضمن مجموع المعطيات الثقافية المنتشرة في سياق سوسيو-ثقافي محدود على القارىء الرجوع إليها أثناء عملية تأويليه للنص الأدبي ولهذا فإنها مجموعة مسجلة لجميع التأويلات ويمكن تصورها موضوعيا على أنها مكتبه المكتبات؛ حيث تكون المكتبة أيضا أرشيفا لجميع المعلومات غير اللفظية التي تم تسجيلها بطريقة ما، كالرسوم الصخرية، وصولا إلى مكتبات الأفلام، وبهذا فهي تشير إلى الرصيد المعرفي بمختلف أشكاله ومع ذلك تبقى مسلمة ليست قابلة للوصف في كليتها وما يستعصى ذلك حسب "ايكو"، أنها تضم سلسلة من التأويلات غير محدّدة وغير قابلة للتصنيف ماديا، كما أنها تتضمن مجموعة من التأويلات المتناقضة التي تتغير وتتطور حسب النشاط النصي مما يجعلها غير ثابتة. ومن هذا المنطلق يجعل "ايكو" من الموسوعة

1- إدريس بلمليح، القراءة التفاعلية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000، ص102

2- ينظر: أمبرتو ايكو التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ص87، 88.

3- سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص94.

نظاما موضوعيا لا تتضمن كل المعارف الممكنة التي يمتلكها الأفراد على مر الزمن ولكنها تشير إلى المعارف التي يمتلكها مختلف مستعملوها بوجوه مختلفة.[1]

وإذا ما حاولنا استقراء الخلفيات التي تحكم الموسوعة، فإنه بإمكاننا أن نقف عند ثلاث خلفيات:

أ) الخلفية الدلالية: ذلك أن دراسة الموسوعة هي دراسة للدلالة، حيث تعبر اللغة وتمثل الفكر باعتباره خزانا للمعرفة الموسوعية.

ب) الخلفية التداولية: إذ أن الموسوعة لا تنفصل عن الدينامية التي يمارسها القارىء على النص، فهو يختار من بين معارفه المتعددة، ما يوافق مقاصده وأهدافه، وما يتطلبه السياق.

ج) الخلفية النفسانية: فالتوجه الموسوعي توجه نفساني والدلالات اللسانية كيانات نفسية غير مستقلة عن المفاهيم النفسية الموسوعية، وعن التنظيم المعرفي العام، والقدرات المعرفية للذهن البشرى.[2]

وسنقدم فيما يلي البنية الاستعارية التالية نوضح من خلالها هذه الخلفيات الثلاث:

- «خرجت (بلادنا) من تلك الأزمة النكراء».[3]

إن المستمع في تأويله لهذه الاستعارة يحاول أن يحيّن المعارف والتجارب التي تصف الأزمة، كما أنه يوظف تجربته الشخصية، والبعد النفسي بحيث أنه عاش تجارب ذاتية، وبالتالي فإنه يسقطها على البنية مع الاحتفاظ بالسياق التداولي للخطاب، وهو ما يفضي إلى تأويل الاستعارة انطلاقا من هده الخلفيات. ولقد عمل "ايكو" على إدخال الكثير من الظواهر لتحليل الموسوعة.

1.3- مفاهيم لتحليل الموسوعة:

يقترح "أمبرتو ايكو" بعض النماذج لتحليل الموسوعة، حيث أشار إلى مفاهيم علم النفس المعرفي، وإجراءات تنتمي إلى حقول الذكاء الاصطناعي، كالسيناريوهات والأطر والمدونات، والخطاطات، إذ أنها تمتلك قوة إجرائية قادرة على تحليل بنية الموسوعة

1- ينظر: أمبرتو ايكو التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ص188، 189.

2- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص94، 95.

3- الملحق1.

ضمن سياق نصي أشمل وتتكفل بتمثيل المعرفة الخلفية لمتلقي الخطاب والعمل على تنظيم معلوماته حين يواجه خطابا يغيب عنه الوضوح والمعنى (كالاستعارة)، فالإنسان يملك قدرا هائلا من المعارف، وحين يواجه خطابا ما فإنه لا يسحب من ذاكراته إلا المعلومات التي توافق خطابه، وبالتالي توجهه لبناء سياق النص.[1] وسيتم عرض هذه المفاهيم في الفصل اللاحق في تحليلنا للاستعارة.

1.1.3- نموذج الموسوعة الجزئية:

لتوضيح ذلك يقدم "ايكو " مثالا لـــ "بوتيي" (B. Pottier)، نظّم فيه مجموعة من الأثاث على هذا المنوال:

	لين	ذو مقعد واحد	ذو ذراعين	ذو ظهر	ذو أربع قوائم
كرسي	-	+	-	+	+
متكأ	+	+	+	+	+
أريكة	+	-	+	+	+
مقعد	-	+	-	-	-
نمرق	+	+	-	-	-

غير أن "ايكو" يرى أن هذا النموذج يبدو حيلة لإنتاج أوصاف للألفاظ، فهو لا يختلف عن التحليل المعجمي، أو التحليل بالمقوّمات.[2] غير أن هذا النموذج تم تطويره فيما بعد كما يرى ايكو، حيث أخذ بعين الاعتبار الاختلافات القائمة بين المعاني الصريحة والمعاني الحافة، فعبارة /كلب/ على سبيل المثال تدل في سياق حيواني على خاصيات هي /+حيوان، + ثديي، + لاحم، ... إلى آخره/، ولكن اعتمادا على تحيّين لهذه الخاصيات (وعلى خاصيات أخرى يمكن أن يضفيها مباشرة جزء من الموسوعة إلى تلك العبارة، كأن نذكر أن الكلب ينبح ولعابه يسيل، ويمكن أن يصاب بداء الكلب...الخ)، كما يمكن أن نسند إلى /الكلب/ في سياقات موالية للمعنى الحاف، على أنه "حيوان بغيض"

1- ينظر: أمبرتو ايكو التأويل بين السميائيات والتفكيكية، ص132.

2- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، ص201، 202.

ولكن لكي يعمل هذا النموذج، يرى ايكو ضرورة أن نرسم في كل مرة أجزاء من موسوعة حتى وإن كانت غير مترابطة (محاور، أو حقول، أو أنظمة ثانوية) من شأنها أن توفّر للعبارة الخصوصيات التي يمكن أن تسند إليها.[1]

2.1.3- نموذج بوتنام (Putnam):

وتتضمن مكوّناته مجموعة من المؤشرات التي تدمج في إطار وحدة كلية، وقد حدّد "ايكو" ذلك كما يلي:

أ) المؤشرات النحوية للكلمة المعينة: مثلا " الاسم ".

ب) المؤشرات الدلالية للكلمة: مثلا حيوان، أو فترة زمنية.

ج) وصفا لسمة قالبية، إضافية إن وجدت.

د) وصفا للماصدق.

وتشكل هده المكوّنات في جملتها افتراضا حول قدرة المتكلم –ماعدا الماصدق- على هذا النحو:[2]

المؤشرات النحوية	المؤشرات الدلالية	القالب	الماصدق
اسم ملموس	جنس طبيعي سائل	لا لون له، شفاف، لا طعم له، يروي من العطش.	H2O

وينتقد "ايكو" هذا النموذج باعتبار أن الماصدق هو أيضا صناعة سميائية يجب بدورها أن تؤول كما ينبغي تأويل المفاهيم التي تؤوله؛ أي الهيدروجين والأوكسجين كما أن المؤشرات الدلالية هي معجميا لا تزيد عن أن تكون أسماء جنس يتفادى من خلالها تحديد خاصيات أخرى نموذجية للسوائل والأجناس الطبيعية.[3]

ولتوضيح هذا النموذج نحلّل الاستعارة التالية:

1- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، ص203.

2- المرجع نفسه، ص205.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص207،206.

«إن قانون الوئام [...] حلّ...».[1]

المؤشرات النحوية	المؤشرات الدلالية	القالب	الماصدق
- مواد/قانون	- سياسة أدت تحقيق استقرار البلاد والأمن للشعب الجزائري. - القضاء على مختلف الفتن وأشكال الرعب. - تحقيق التقدم، بإعادة إنعاش ما سببته الفتن.	- مصادقة الشعب على هذا القانون لأنه يحمل سياسة الصلح والتسامح. - تجلي هذا القانون على أرضية الواقع بالمصالحة الوطنية بين أفراد الشعب. - تطبيق مبدأ التسامح للتائبين.	قانون

3.1.3- نموذج "بيطوفي ونوباور" (J.S. Petôfi et F.Neubauer):

يشتغل هذا النموذج وفق نظام أشد تعقيدا على عكس التعريف المعجمي للفظ الذي يحتوي على معلومات ذات طابع صوتي وتركيبي وصرفي، وعلى مجموعة منظمة من المؤشرات الدلالية من نوع قاموسي. إن هذا النموذج يحتوي على أشياء أخرى على: مرادفات، وألفاظ متكافئة، وترجمات، ومركبات أوسع يكون رأسها عنصرا دلاليا وحقل أو مجموعة مضمونية وغيرها، ولتوضيح ذلك يضرب "ايكو" مثال /الطائر/؛ حيث يمكن تحليله كما يلي:

- مرادفات (SY) = دواجن.
- مركبات أوسع يكون رأسها عنصرا دلاليا (ISF)= طير مهاجر.
- حقل أو مجموعة مضمونية (FIELD)= حيوان.
- ألفاظ أشمل مثل الأجناس المنطقية وعلاقة الجزء/الكل، والألفاظ المترابطة عادة (BT)= المنطق: فقري، الكل: كائن حي.

1- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص101.

- ألفاظ أقل شمولا مثل أسماء النوع والأجزاء والألفاظ المترابطة (NT)= المنطق: طائر من الجوارح، وطير شاد. الجزء: منقار، جناح. الألفاظ المترابطة: طيور مهاجرة.
- ألفاظ قريبة (COL)= ثدييات، زواحف.
- ألفاظ تجريبيا مترابطة (EC)= عش، هواء، شجر، ماء.
- ألفاظ مشتركة (ASC)= يطير، يشدو.

ورغم هذه الاختيارات السياقية، والمقامية، إلا أن هذه التمثيلات؛ كما يرى "ايكو" تركيبات جزئية تهدف إلى تحليل نصوص خصوصية.[1]

وبهذا فإن بناء عملية التأويل عند "ايكو"؛ يرتبط بسيرورتين مترابطتين؛ تتعلق الأولى بالشروط التلفظية، والسياقية، والثانية تتعلق بشرط حدس المتلقي، وافتراضاته المسبقة، وإن السياق النصي هو الذي يتيح للمتلقي قرارا تأويليا حاسما؛ يصدر هذا القرار التأويلي انطلاقا من اللجوء إلى القدرة الموسوعية.[2]

وتدليلا على سيرورة التمثيل الموسوعي التي اقترحها "ايكو"، سنحلل المثال التالي الذي ورد في الخطاب السياسي بمراعاة السياق الذي وضعت فيه:[3]

- الشباب
  - سياق1: إدماجهم اجتماعيا = أمل وأفق.
  - سياق2: طالت بهم البطالة = يأس وتذمر.

وبهذا فإن السياق قد حدد المعنى انطلاقا من الموسوعة الاجتماعية والثقافية؛ إذ أن المستمع بفعل تفاعله مع الواقع يستمد موسوعة يؤوّل بموجبها هذه البنية، كما يولي "ايكو" من جهة أخرى اهتماما بظاهرة الافتراضات المسبقة (الاقتضاء Le présupposition) الذي يمثل إحدى الوسائل التي تقدمها اللغة من أجل الاستجابة للحاجات المستترة وهذا الاقتضاء عند ايكو جزء من مضمون العبارة، وهو يشير إلى نوع من الاستدلالات أو القضايا المسلم بها كقضايا صادقة والتي يستنتجها القارىء من خلال تعابير تتوفر على

1- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، ص209، 210.

2- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي، ص98.

3- الملحق2.

خصائص مميزة.[1] ففي البنية الاستعارية التالية: «عودة السلم»[2] يقتضي مسبقا أن السلم كان مغيّبا قبلا.

ويقترح نوعين أساسيين من الاقتضاءات:

أ) الاقتضاءات التي تعرف على أنها "معجمية"؛ إذ أنها تتشكل عن طريق عبارة ما فعبارة /نظّف/ تفرض مسبقا أن الشيء المنظف أو الواجب تنظيفه كان قبل ذلك متسخا.

ب) الاقتضاءات التي تتحدد على أثر إستراتيجية تواصلية وتتوقف على السياق التداولي والعملية التواصلية.[3]

2.3- الاستعارة والموسوعة:

تمثّل الاستعارة الموضوع الذي شغل "ايكو" والذي ركّز على مناقشته وربطه بالموسوعة وذلك لما حظي به هذا المفهوم من اهتمام ودراسة من وجهات نظر مختلفة فلسفية ولسانية وجمالية، ولأن الحديث عن الاستعارة، معناه الحديث عن النشاط البلاغي بكل تعقيداته، يرى "ايكو" أنها تتحدى كل مدخل في أي موسوعة مهما كانت، وذلك لأنها كانت قبل كل شيء - ومنذ أبد طويل - موضوع تفكير فلسفي ولغوي وجمالي ونفسي لذلك رأى أن الاستعارة لا تقيم تماثلا بين المرجعيات التي يحيل عليها المستعار منه والمستعار له؛ بل إن التماثل عنده يشمل بالدرجة الأولى سمتين، أو خاصيتين دلاليتين في طرفي الاستعارة، بمعنى أن هذه الخصائص يشار إليها بنفس المؤولات التي توحّد بينها وسبب ذلك هو أن فهم الاستعارة لا يتطلب الرجوع إلى محتويات التعابير المشكلة للاستعارة أو بلغة "بورس" الرجوع إلى المؤوّلات المفسرة لهذه التعابير والمختزنة في الموسوعة الثقافية التي تنتمي إليها الاستعارة موضوع التحليل.[4]

إن هذا التصوّر يسمح لنا بالقيام باستدلالات جد معقدة تنطلق من الموسوعة الثقافية التي صاحبت ظهور هذا التعبير، إذ أن الانطلاق من علم الدلالة في شكل معجم لا يكفي لتحديد تراكم المعاني الشائعة في المجتمع على مر السنين والمثبتة في الموسوعة، لهذا

1- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي، ص214.

2- الملحق2.

3- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، ص213.

4- ينظر: رشيد الإدريسي، سمياء التأويل، ص45.

فإن الأمر يتطلب تنشيط الخصائص الموسوعية التي تتماشى مع السياق، وإضمار الخصائص الأخرى. وبهذا ينبثق التأويل الاستعاري من التفاعل بين المؤوّل والنص حيث تكون فيه الموسوعة حاضرة بشكل مفروض وهو ما يجعل التأويل يختلف باختلاف الثقافات ومقاصد وأهداف المتلقي وطبيعة الاستعارة.[1]

ودفع هذا التصوّر بالباحث إلى تقسيم الاستعارات إلى استعارات ساذجة، واستعارات مفتوحة، ذلك أنّ الاستعارات الساذجة والتي يسميها فقيرة على المستوى المعرفي لا تعلّمنا شيئا إضافيا عما سبقت معرفته بينما الاستعارة الجيدة أو المفتوحة؛ فإنها لا تسمح لنا بالتوقف الفوري للبحث، بل تفضي إلى اختيارات مختلفة متكاملة ومتناقضة، ولا يبدو هذا مختلفا عند ايكو عن معيار المتعة الذي حدده "فرويد" (Freud)، والمتمثل في الادخار والاقتصاد.[2]

وفي هذا الإطار ينتهي "ايكو" إلى استخلاص خمس قواعد يلزم إتباعها قصد التوصل إلى تأويل الاستعارة. وهذه القواعد هي:

1- يجب بناء تخطيط يعرض المعانم (Sémème) للمستعار منه، وهو يمثل فقط الخاصيات المهمة في السياق، بينما يتم تغييب الخصائص الأخرى؛ وهذه العملية تمثل أول محاولة استكشافيه عند ايكو.

2- يجب أن نتعرف ضمن الموسوعة المسلم بها على معنم آخر يملك بدوره معينما اول أكثر من المعينمات التي تكون متوافرة في المعنم المستعار منه؛ وسيصبح هذا المعنم مرشحا للقيام بدور المعنم المستعار له وفي حالة وجود أكثر من معنم فإنه يتوجب علينا بمحاولة استكشافات أخرى انطلاقا من إشارات في سياق النص.

3- يجب اختيار واحد أو مجموعة من هذه الخصائص أو المعينمات المختلفة، ونركّب عليها شجرة فرفورية بحيث تلتقي هذه الأزواج المتعارضة (الثنائيات المتضادة) عند عقدة عليا في هذه الشجرة.

1- ينظر: أمبرتو ايكو، التأويل بين السميائية والتفكيكية، ص160.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص295- 297.

4- يبرز المستعار منه والمستعار له علاقة مهمة؛ وهي جديرة بالاهتمام، إذ أن التقاء مختلف خصائص الاستعارة أو سماتها عند عقدة معينة من الشجرة الفرفورية التي تم بناؤها؛ تشير إلى السياق النصي والتأويل المحتمل للاستعارة.

5- نسجّل انطلاقا من الاستعارة المفترضة، علاقات دلالية جديدة بطريقة تثري بها بصفة لاحقة القدرة المعرفية للاستعارة.[1]

- خلاصة:

- قدّمت النظرية الاستبدالية عناصر أساسية لفهم الاستعارة من خلال المقوّمات؛ إلا أن طبيعة اللغة وثرائها، وتدخل السياق والمحيط الخارجي بما يتضمنه من معارف يبيّن قصور النظرة الكلاسيكية في تحليل الاستعارة، حيث ركّزت على محدودية المعجم وهو ما يجعل هيمنة النظرية المعرفية باعتبارها تفتح مجال التأويل بدمج كل المعارف والتجارب المرتبطة بالسياق، إضافة إلى مقاصد وأهداف المتلقي مما يجعل تأويل الاستعارة يختلف باختلاف الثقافة المعرفية واختلاف قدرات المتلقي.

- يتطلب تأويل الاستعارة تدخل المتلقي والسياق الذي يستند فيه إلى الموسوعة المرتبطة بثقافته، ولعل مفهومها يظهر جليا عند كل من "بيرس" في السيرورة التأويلية ومبدأ الوجاهة عند "سبيربر وويلسون"، وتدخل التجارب ومختلف الأنظمة الاجتماعية الاقتصادية، والثقافية في إنتاج النص عند جوليا كريستيفا" مما يجعل من عملية التأويل مفتوحة ومختلفة باختلاف الموسوعة الثقافية.

1- ينظر: أمبرتو ايكو، السميائية وفلسفة اللغة، ص300- 304.

الفصل الثاني:

دور الاستعارة في تجسيد

المفاهيم وتشكيل الواقع في الخطاب السياسي

تمهيد:

إن التساؤل الذي يصدم به الباحث في تحليل الخطاب السياسي، هو ماهية المنطلقات التي يستند إليها أثناء تحليله للخطاب، وما هي الآليات والإجراءات التي يتخذها للكشف عن نسقه وفاعليته؟[1]

يعرف الخطاب السياسي بأنه خطاب حجاجي بالدرجة الأولى، فهو يتوسل بمجموعة من التقنيات والآليات اللسانية، والمنطقية، والعقلانية، بهدف التأثير في المستمع وهو ما يؤدي إلى إقناعه،[2] ولهذا ربط بعض الباحثين وظيفة تحليل الخطاب السياسي بالسلوك اللغوي وهو ما يكشف إلى أن اللغة (والخطاب) مجال تمارس فيه أفعال شتى عن طريق استمالة الرأي الآخر، والتأثير عليه، وإقناعه، وضمه إلى صفها، مما يعني أن السياسة ترتبط أساسا بتحديد فعل ما من السلطة الاجتماعية،[3] ويتبين من هذا أن المتكلم (المخاطب) يبني خطابه انطلاقا من مجموعة من الطرائق، والتقنيات الحجاجية التي يوظفها في خطابه، ونظرا لتركيزنا على الاستعارة سنكتفي بعرض هذه الآليات بصورة موجزة ثم ننتقل إلى تحليل الاستعارة في هذا الخطاب، وذلك من خلال الدمج بين إجراءات ومفاهيم مختلفة.

1) التقنيات الحجاجية في الخطاب السياسي:

يتحدد موضع الخطاب السياسي كونه يمارس أفعالا اتجاه السلطة الاجتماعية وذلك بتحريك الأحداث، والوقائع عن طريق اللغة التي يسعى بها إلى تحقيق مقاصده وأهدافه ذلك لأن اللغة وأدواتها تتحكم كثيرا في طريقة عرضنا واختيارنا للمعاني التي تخالجنا والتي نرغب في إيصالها إلى الآخرين ونجعلهم يقبلونها، ويتمثلونها جيدا وبذلك تترجم هذه الآليات (اللغوية وغير اللغوية) الإستراتيجية العامة للخطاب الحجاجي بوسائل تكتيكية خاصة عندما تستعمل في الضرورة القولية، لتدعيم الحجج المساقة وبناء استدلال قوي

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص132.

2- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص171.

3- ينظر: المرجع السابق، ص132

حتى يؤدي ذلك إلى إقناع المستمع بأطروحة المتكلم وتزكيتها، إما بالاعتقاد، أو الفعل أو رد الفعل؛ أي تحقيق الفعل الحجاجي إلى واقع ملموس فعلا أو تركا.[1]

وقد قسّم "عبد السلام عشير" هذه الآليات إلى ثلاثة أقسام رئيسية، سنعرضها بإيجاز مع محاولة تطبيقها على الخطاب السياسي الجزائري.

1.1- الآليات الذاتية:(الذات الأسلوبية)

تلعب فيها الذات محورا أساسيا في العملية الحجاجية متمثلة في المتكلم والمستمع والمقتضيات المقامية، إذ لا يجوز للمتكلم أن يكون واصفا فقط، إنما هناك تقنيات أسلوبية متنوعة، ومواقف خاصة يلجأ إليها بهدف إيصال مضمون خطابه وفحواه، إذ يتم بها بناء استدلالاته، وصياغة تركيبه، ذلك لأن فعالية وجدية خطاب المتكلم تقتضي تقديم أو إظهار بعض القدرات المعرفية، وبعض المصادر السياقية التي تنعكس بالضرورة في الطريقة أو البناء الأسلوبي الذي يصوغ به الخطاب، وبذلك تعمل على تسهيل مهمة السامع والمتكلم بتقليص دور التعقيد الموجود بينهما.[2]

وسنعمل فيما يلي على إبراز الذات الأسلوبية في الخطاب السياسي للرئيس "عبد العزيز بوتفليقة"،[3] وذلك اعتمادا على التحليل الذي قدّمه "عبد السلام عشير" لخطاب الوزير الأول المغربي أمام البرلمان، من خلال ما يوظفه في العمليات الاستدلالية والإقناعية كالتعليل والتبرير، والتمويه، والتخيير، وغيرها.[4]

ودون الوقوف على الأطروحة العامة للخطاب، يتبين لنا أن الذات الأسلوبية تمكنت من إنجاز بعض الغايات الحجاجية كالتأكيد، أو التبرير، أو التعظيم. يقول:

- «بالرغم أن الأزمة الاقتصادية الخطيرة...تسنى لنا تطبيق البرامج التي رسمناها في مجال التنمية الاجتماعية». فنجد أنه قد وظف أسلوبين متعارضين:

1- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص171.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص173.

3- خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة نجاحه في الانتخابات الرئاسية أفريل 2009، وسنشير إليه لاحقا بـــ "ملحق2".

4- ينظر: المرجع السابق، ص171- 179.

- الأول: تأكيد السلب "بالرغم من الأزمة الاقتصادية الخطيرة".
- الثاني نفي السلب "تسنى لنا تطبيق البرامج".

وكنتيجة للصعوبات، والأزمة الخطيرة التي تعترض المشاريع التنموية؛ فإن هذا القول «يهيئ المستمع لتبرير النقائص، والسلبيات وهو أسلوب تدريجي يسهل عملية الفهم لدى المخاطب ويستدرجه نحو قبول الخطاب والإقتناع به»[1].

وبهذا نخلص إلى أن هذه الآليات الأسلوبية المستخدمة في الخطاب السياسي تتفاعل مع طبيعة الأقوال الحجاجية، ويكون الغرض منها حصول اقتناع عن طريق التحذير، في قوله: «إن الأزمة الاقتصادية تضرب العالم»، أو الحث على العمل لتجاوز هذه الأزمة.

2.1 الآليات الموضوعية: العقلانية.

إذا كانت الذات تتحكم بمنطقها الداخلي الذاتي في القول وتطبعه بأسلوبها الخاص وتجعله دعامة أساسية في العملية الحجاجية، فإن ذلك لا يخرج عن النطاق العقلاني للقول الذي يوجّه لخطابه ويضبط سلوكه اتجاه الآخرين، فمن هذه الآليات التي تؤدي وظائف معينة نحو حصول الإقناع نجد "اللاتساق" (incompatibilité) ويتمظهر في حالة المزاوجة بين إثباتين لا يتواجدان في نفس النسق، حيث يتطلب أن ينفي الواحد منهما الأخر منطقيا فالكوكب مثلا؛ لا يمكن أن يكون في نفس الوقت "مجرّة" أو "نجما" فيخالف بذلك اللاتساق مبدأ التناقض الذي يقوم على التعارض المطلق بين إثبات الشيء ونقيضه مثل: "هذا الشيء يوجد ولا يوجد".[2]

وعليه يكون مبدأ اللاتساق وسيلة حجاجية عقلانية، يقوم على عملية الجمع بين شيئين متناقضين من باب تأكيد الواحد ونفي الآخر، وليس من باب إظهار التناقض الظاهري، وهنا تكمن قوة "اللاتساق" الحجاجية حيث تجعل السامع في وضعية صعبة بين موقفين غير متسقين، فالقول يبدو متناقضا شكليا (بالجمع بين المتناقضات) لكن الواقع والممارسة الكلامية يمكن أن تنزع التناقض من القول، فتنجح العلاقة الحجاجية لتقريب الشيء أو المفهوم أو الفكرة من المستمع أكثر، من خلال إحداث خلل في ذهن السامع

1- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص179.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص180.

أو على الأقل إضعاف قوته الاستدلالية الذي تستهدفه الفكرة ونقيضها، وهو ما يؤدي بالسامع إلى تقبل الأطروحة المقدمة له أو التراجع عن الأطروحة التي يؤمن بها أو تؤدي إلى اعتقاد شيء آخر بديل يكون موضوعا جديدا للتأمل عكس التناقض المنطقي (إما هذا أو هذا).[1]

إن القول بأن: « الأزمة الاقتصادية الخطيرة تضرب العالم...ولا ننسى أن نهاية عهد النفط آتية لا محالة بالنسبة لبلادنا»، تجعل المستمع في وضعية جديدة بالنسبة لما تعوّد عليه، فالمواطن الجزائري يعلم مسبقا، وبفعل تجربته في إطار محيطه الاجتماعي بأن "الأزمة الاقتصادية" لا يمكن مجابهتها إلا من إيرادات البترول، ولكن في هذا الخطاب يحدث العكس، اذ أن البترول هو الآخر مهدد بالفناء مما يخلق أزمة أخرى، لهذا فإن هذا الجمع بين الأزمتين أمر متناقض بالنسبة للجزائري الذي يرى من البترول المنقذ الوحيد لكل الأزمات، وعليه تتولد وضعية جديدة للمستمع، لأن الأزمة الاقتصادية معروفة فهي:

- تمتص خيرات الوطن، ارتفاع الأسعار، الشح في الموارد الغذائية...

- البترول معروف أنه من يحرّر الفرد من هذه الأزمات، وهو الذي يوفّر السيولة المالية، ومن ثم الفاعل الذي يحقق الرفاهية المادية للمواطنين، وهو ما يجعل المستمع أمام وضعية جديدة يحاول أن يتغلب بها على المشكلة، وهو اللجوء إلى حل للأزمة بعيدا عن ثروة البترول وهو ما يريد المخاطب تحقيقه بتبني أسلوب العمل لدى الشعب الجزائري، وربما إخفاء أشياء أخرى كتغطية الأزمات التي يتخبط فيها المجتمع.

1.3- الآليات الواقعية (الذات الحدسيّة والتجريبية)

إن النظم الاجتماعية وكل ما «يتصل بسلوك الإنسان الاجتماعي وكل ما يؤثر في نفسيته من عوامل ثقافية، وممارسات، وتجارب، إنما تنعكس في النهاية على سلوكه السياسي»،[2] لهذا كان الخطاب السياسي ممارسة كلامية مستمدة من الواقع الاجتماعي الذي لا ينفصل عنه، وهو ما يدفع إلى توجيه العملية الحجاجية نحو المفارقة والاختلاف

1- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص181.

2- أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية، ط6، دار غريب، القاهرة، 1999، ، ص3.

أو المماثلة والاتفاق، من خلال تصوير الوقائع في شكل صوّر اجتماعية أو نفسية تشكل حالات خاصة لدى الإنسان: كالسخرية، والتهكم، والارتياح، والتذمر... وهذه الصوّر والحالات المؤثرة لا يحركها إلا الحدس القوي بالطبيعة الإنسانية في علاقاتها بالمتخيل الثقافي والاجتماعي، وهو ما يفضي إلى تحقيق الإقناع.[1]

فمن الأمثلة التي يمكن أن نسوقها في هذا المجال، نموذج المماثلة والاتفاق المبنية على الواقع نجد البنية التالية:

- «الشغل الذي كان وضعه كارثيا جراء فترة طويلة من النكوص والأزمات في نهاية التسعينات».

فتكون البطالة إذن، نتيجة لفترة الإرهاب التي قضت على مختلف المنشآت الاقتصادية والاجتماعية، وسببت خسائر فادحة في البلاد، كما عملت على توسيع دائرة الركود والجمود، وهو ما يجعل المواطن في حالة تذمر، ورعب من هذه الفترة. وقياسا بالفترة الراهنة التي عملت فيها الدولة على استعادة السلم والقضاء على الإرهاب، فإنه سيتم تحسين وضع الشغل والعمل على توفيره للشعب الجزائري، وهو ما يحقق الإقناع لدى المستمع.

من هنا يتبين أن هذه الآليات تتكامل وظائفها الحجاجية في القول، فكل طريقة تؤدي وظيفة أو وظائف معينة داخل الخطاب مجتمعة أو متفرقة، فالمتكلم له دوره الخاص كذات تدخل في القول الحجاجي وتوجّهه حسب رغبة الذات وقناعتها، وحسب كفاءتها اللغوية والأسلوبية، كما تتدخل الموضوعية التي تفرضها عليه الشروط العقلانية لتجعله مقيّدا بمجموعة من الطرائق الخاصة بالعقل، ويتدخل الواقع ليؤثر في توجيه العملية الحجاجية ذاتا، وعقلانية، نحو معاني وغايات محدّدة يستخدم فيها المتكلم الحدس والتجربة لكي يلائم قوله انتظارات المستمع.[2]

1- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص188.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص172.

2- فاعلية الاستعارة في الخطاب السياسي:

سنحاول في هذا العنصر أن نقدم قراءة في البنية الاستعارية لخطابات ألقاها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة أمام مختلف الفئات، من إطارات في الدولة، وعمال في قطاع العدالة، والأمن إلى مختلف طبقات المجتمع، وذلك من أجل الاستدلال على فرضية مفادها أن الاستعارة تلعب دورا أساسيا في بناء نسقنا التصوّري، انطلاقا من تعاملاتنا اليومية فيما بيننا، وكذا مختلف التجارب التي نكوّنها من احتكاكنا المباشر بالعالم الخارجي، وهو ما لا يخلو منه الخطاب السياسي، إذ يعتبر وليد تفاعل كل هذه التجارب المرتبطة بالفرد.

وإن البحث في البنية الاستعارية المكوّنة لهذا الخطاب تحيلنا لفهم أعمق للواقع وذلك بالكشف عن كيفية اشتغال الأنظمة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية عن طريق الاستعارة، ولهذا كان البحث عن الاستعارات في هذا الخطاب ليس أمرا مجانيا بل ينبع من نتاج علاقة جدلية قائمة على التفاعل بين الذهن البشري والواقع، وبناء على هذا ستكون آلياتنا في تحليل هذه الخطابات الاعتماد على ما قدمه التصوّر التجريبي التفاعلي ممثلا في الاستعارات الكبرى التي قدمها "جرج لايكوف ومارك جونسون" في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها"، ومفهوم الاستعارات المفهومية ودمج المفاهيم المستمدة من النظريات النفسية، والتداولية، وإجراءات العلم المعرفي والذكاء الإصطناعي.

وقبل الشروع في ذلك سنقف عند أهم المفاهيم والإجراءات التي تبناها كل من "جرج لايكوف ومارك جونسون" في أعمالهما.

2.1.1- تجسّد المفاهيم

ينطلق كل من "لايكوف وجونسون" من مفهوم أساسي لبناء نظريتهما الاستعارية كون أن المفاهيم المجردة والتصوّرات متجسدة أساسا، استنادا إلى هذا التصور فإن الذهن البشري جسدي بشكل أساس.[1]

لقد انتقد جونسون في كتابه "الجسد في العقل"، النظريات التقليدية التي تجمل على أن المفاهيم تمثيلات ذهنية مجردة، يتم استخدامها من أجل تحديد الظواهر المادية التي

1- ينظر: تقديم الترجمة لكتاب جرج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارة التي تقتل، ص10.

تشير إليها، وهو ما يجعل من المفاهيم غير متجسدة، في حين يرى جونسون أن تشكيل الدلالات، والمعاني، وعملية التخيل، والتفكير العقلي متجسدة، وهي تقوم على عمليات استعارية.[1]

ويحدّد هدف نظريته في "إعادة الجسد إلى الذهن " على أساس مفهوم "مخططات الصورة"، التي يمكن تعريفها ببساطة بأنها بنى متكرّرة في الفهم الإنساني لظواهر شتي وسابقة لأي عملية تفكير عقلية ومن أمثلة هذه المخططات: "الحركة، والقوة، والاحتواء والعلو، والانخفاض"، فهي متجسدة في تجاربنا المادية من خلال حركة جسدنا من موقع لآخر.[2]

ومن الأمثلة التي نقدمها لتوضيح هذه المخططات التي تقوم عليها الاستعارات عند كل من لايكوف وجونسون البنية التالية:

- خرج أحمد من سيارته.
- أخرجت النقود من جيبي.

إننا نرى في هذه الأمثلة "الخروج" في تجليه المادي، حيث نجد ظاهرة مادية حاوية وهي "السيارة والجيب"، وظاهرة من داخل الحاوية إلى خارجها "أحمد والنقود"، وعليه يتم الانتقال وفق مخطط الاحتواء.

و في المقابل فإننا إذا نظرنا إلى المثالين:

- هذا الفعل يعتبر خروجا عن الدين.
- لا تخرج عن الموضوع.

فنجد أنهما يتحدثان عن ظواهر مادية "الدين" و"النقاش"، وهنا يكمن دور الاستعارة حيث يتم بها نقل معرفتنا للنقاشات الفكرية وروحية الدين بالاحتواء، وهو ما يرد على النظريات التقليدية التي ترى أن الحديث عن هذه المفاهيم لا علاقة له بالتجربة المادية للإنسان، فتكون فكرة الاحتواء أساسية عند "جونسون ولايكوف"، إذ أن "الدين" يصبح حاويا والإنسان قد يكون داخله أو خارجه وهو ما يجعل من مفهوم الدين تحت سيطرة مفهوم مادي هو "الاحتواء"، كما يتم تشكيل مفهوم الدين من خلال النقل الاستعاري أي

1- نقلا عن: Mark johnson,the body in the mind,UCP, Chicago, 1987, P.22.

2- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص25.

نقل الاحتواء المادي إلى الاحتواء المجرد. إن مفهوم الدين الإسلامي مثلا يتحدد من خلال احتوائنا لتعاليم القرآن والسنة النبوية فنكون بذلك داخله، ويصبح الإسلام حاو لنا.[1]

ويوضّح الباحثان أن مخطط القوة يتجسد من خلال قوة المتصارعين، لكن يتم نقل هذا التصوّر من المجال المادي إلى المجال المجرد، كقوة الحجة التي تتجسد من خلال القوة المادية، وهو أيضا ما يمكن قوله عن باقي المخططات الأخرى كالحركة والعلو والانخفاض التي ترتبط بدورها بمجال مادي يتم إسقاطه على مجال مجرد.[2]

وانطلاقا من هذه المفاهيم، يتبنى "لايكوف وجونسون" طريقة في تحليل الاستعارة، حيث يتم نقل تصورات ومفاهيم مجال معين (المجال المصدر) الذي يكون مألوفا عندنا إلى مجال الهدف، وهو ما يجعل من الاستعارة ظاهرة منتشرة جدا لدرجة أنه يصعب رؤيتها والانتباه إليها.[3]

والتقى لايكوف وجونسون من جديد في كتاب ضخم نشراه سنة 1999 وسمياه "الفلسفة في الجسد: تحدي الذهن الجسدي للفلسفة الغربية"، وقررا فيه إعادة النظر في الفكر الغربي جملة وتفصيلا، حيث انتقد الباحثان الفكر الغربي منذ القديم باعتباره قد فصل فاعلية التجربة الجسدية عن العقل، في حين أن العقل بالنسبة إليهما نتاج أدمغتنا وأجسامنا وتجربتنا الجسدية في المحيط، لذلك ينبغي دراسة نسقنا البصري ونسقنا الحركي والآليات العامة المتحكمة في روابط خلايانا الدماغية لفهم بنية العقل ومن ثم فهم كيفية اشتغاله.[4]

2.2.1- استعارية النسق التصوري:

يرى الباحثان أن النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا، ذو طبيعة استعارية بالأساس، إذ أن الإستعارة تحضر في كل مجالات حياتنا اليومية، وفي سلوكاتنا البسيطة بكل تفاصيلها، غير أننا لا يمكن الإنتباه إليها، إذ أن النسق التصوري ليس من الأشياء التي نعيها بشكل عادي، فنحن في جل التفاصيل التي نسلكها في حياتنا وتعاملاتنا

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص26-27.

2- المرجع نفسه، ص27.

3- ينظر: تقديم الترجمة لكتاب جرج لايكوف، حرب الخليج الاستعارة التي تقتل، ص6-7.

4- المرجع نفسه، ص10.

مع الناس، والطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، تجعلنا نفكّر ونتحرك بطريقة آلية وذلك تبعا لمسارات سلوكية ليس من السهل القبض عليها، إلا أن اللغة تمثل إحدى الطرق التي توصلنا إلى اكتشاف هذه السلوكات ممثلة بالاستعارة.[1]

ولقد وجد الباحثان من خلال اشتغالهما على معطيات لغوية بالأساس، أن الجزء الأكبر من نسقنا التصوري من طبيعة استعارية، وبالتالي فإن تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا في كل يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة، ويتجلى ذلك خاصة في عملية النقل الاستعاري متمثلة في مفاهيم "المخططات والصورة"، فلقد أظهرت الأمثلة التي اشتغل عليها الباحثان أن الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ، بل إن سيرورة الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منه، وهذا ما يقصدانه بالقول أن النسق التصوري البشري استعاري، بحيث نجد أن كل المفاهيم المجردة التي ترتبط بالفكر تشتغل بصورة استعارية.[2]

وانطلاقا من هذه المفاهيم التي يتبناها الباحثان، تكون الاستعارة ملازمة لحياتنا اليومية ومنه لا يمكن الحديث عن انزياح اللغة الاستعارية عن اللغة العادية، إنما العادة هي الاستعارة لا غيرها. كما تقودنا هذه المفاهيم إلى اعتبار أن الاستعارة لا تقوم على مشابهة موجودة بشكل قبلي وفي استقلال عن تجربة الإنسان، واحتكاكه بالعالم الخارجي بل إنها إبداعية تستجيب لتجربتنا، واحتكاكنا مع معطيات العالم الخارجي مما يجعل الاستعارة تقوم على عملية ربط أكثر مما تقوم على المشابهة، بحيث تقوم فيها الروابط بعملية احترافية بين مجالين أحدهما هدف والآخر مصدر، يتم فيها نقل كل تصورات المجال المصدر إلى مجال الهدف فيحدث الربط بين المجالين، مما يولّد فكرة جديدة تقرّبنا لفهم كيفية تشكل التجارب والوقائع.[3]

ويضيف "لايكوف" مقاربة جديدة للاستعارة حيث يجعل منها وسيلة لإحداث تغيير في خريطة العالم فقد سوّغت لأمريكا تبرير غزوها للعراق، وخلقت حالة نفسية ايجابية

1- ينظر: جرح لا يكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، عبد الإله سليم، ط1 دار توبقال للنشر، المغرب، 1996، ص21.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص23.

3- ينظر: تقديم الترجمة لكتاب جرح لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص12.

لدى الجيش الأمريكي بقبول فكرة الاحتلال. وقد قرأ "لايكوف" الاستعارات التي استند إليها خطاب هذه الحرب اعتمادا على خصائص الحكاية الخرافية وشخصياتها من بطل وشرير وضحية وإنقاذ وهزيمة ونصر وأخلاق. فبوش الأب اعتمد سيناريو الإنقاذ لإقناع الأمريكيين بجدوى الإنخراط في هذه الحرب وقبول تكاليفها، فكان صدام حسين شريرا وكانت الكويت ضحية، أما البطل فتمثله أمريكا التي تدافع عن استرجاع التوازن الأخلاقي، فهي التي ستهزم في آخر المطاف الشر وتحقق نصر الأخيار، وبهذا نجحت الاستعارة في تشييد أطر في أذهان الأمريكيين لن يكون بمقدور الوقائع تغييرها وبالتالي فإن المعركة الحقيقية إزاء هذا التأطير ينبغي أن تخاض على مستوى الأذهان لا على مستوى الوقائع فحسب.[1]

وفي هذا المضمار يشير "لايكوف" أيضا إلى أن الاستعارة قد خلقت العافية الاقتصادية لأمريكا، فقد دخلت الحرب قصد الحفاظ على حصتها من النفط الرخيص القادم من الخليج وهوما ساهم في تحديد القوة الاقتصادية وذلك بتغيير السياسة الطاقية الذي دفعت به منطق الاستعارة، كما عملت من جهة أخرى إلى تقبل الخسائر البشرية للعراقيين على أنها أرباح صافية للأمريكيين، دخلت في حيز الفوائد الاقتصادية للدولة ومن ثم تحقيق الرفاهية المادية في كل المجالات.[2]

وبهذا فإن التفكير الاستعاري (أو التفكير بواسطة الاستعارة) ليس شيئا جيدا ولا سيئا في ذاته، إنه ببساطة عند "لايكوف" شيئ مألوف واعتيادي ولا محيد عنه فالمجردات والأوضاع المعقدة أو الملتبسة تفهم عادة بواسطة الاستعارة. ويذهب الباحث إلى أن هناك نسقا استعاريا هائلا وغير واع، في الغالب، نستعمله على نحو آلي و"طائش" لفهم الأشياء المعقدة والمجردة. وقد كرّس جزء من هذا النسق لفهم العلاقات الدولية والحرب.[3]

1- ينظر: تقديم الترجمة لكتاب جرح لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص13.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص41، 42.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص19.

ويحدّد الباحثان في كتاب "الاستعارات التي نحيا بها " ثلاثة أصناف من النقل يتم فيها ربط مجال الهدف بمجال المصدر ولذلك قسّما الاستعارات إلى "وجودية" (أنطولوجية)، "بنيوية" و"اتجاهية".[1]

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأصناف الثلاثة عبارة عن طبقات استعارية كبرى، تسقط في بنيات لغوية عديدة. ومن ثم يمكننا الحديث عن يومية الاستعارة والتصاقها بحياة الكائن البشري. وقد تتبع الباحثان مظاهر الاستعارة في الجدال والوقت والتضخم والغضب والحب والسعادة والسياسات وغيرها.[2]

3.2- التحليل بالاستعارات الكبرى (عند جرج لايكوف ومارك جونسون):

إذا كانت منطلقات النظرية الفلسفية الوضعية (المنحدرة من أرسطو)، قد حكمت تصوّرنا للغة والعالم لمدة طويلة، من خلال جعلها الإنسان معزولا عن محيطه، فإن الإتجاه المعرفي قد أفسح المجال للتجربة الإنسانية وتفاعلها مع محيطها الخارجي بقصد صياغة مفاهيم جديدة وأفكار مغايرة، كما فسحت المجال لاستخدام قدرات الإنسان الجسمية، والعقلية، والشعورية، والفطرية لتحقيق تطلعاته وتفاعلاته مع العالم الخارجي بحيث تسمح له برؤية كيانات العالم من منظوره الخاص وإعادة تركيبها مع ما يلائم حاجياته وانتظاراته، ومن ثم تدفعه إلى تشييد أنساق من التصورات التي تجسدها لغته ومفاهيمه وتترجمها أعماله وأنشطته، ومن هذا المنظور لم تعد الاستعارة مرتبطة بالخصائص الدلالية أو الخصائص الشكلية، بل أصبحت مرتبطة بالعمليات المعرفية التي ترتكز على التجربة والتفاعل الذي ينشأ من خلال تشغيل القدرات الذهنية والحسية.[3]

هيمنت على دراسة "لايكوف وجونسون" النظرة المعرفية للاستعارة التي تهتم بكل أشكال التفاعل بين الفرد ومحيطه، وهو ما يجعل من الاستعارة مفتاحا لقراءة الواقع ورؤيتها كممارسة اجتماعية فعلية، ويظهر ذلك من خلال التقسيمات والأنواع التي

1- انظر التقسيمات التي أوردها الباحثان في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها".

2- جرج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص16.

3- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص117.

أورداها، بحيث وجدت لها مبررات من خلال الطروحات المعرفية والتجريبية التي لا تخرج عن القدرة الإنسانية في فهم تجارب الفرد وحياته وعلاقاته.[1]

لقد خاض الباحثين في مناقشات عمومية مع الناس، والأساتذة، والطلبة الذين كانوا أحد مصادر الأفكار التي تبناها، مما جعل دراستهما تشكل الجانب المعرفي لدى كل الناس وهو ما دفعنا إلى الأخذ بها في تحليل الخطاب السياسي الذي لا يستقل عن منظومتنا الاجتماعية، ولغتنا وتعاملاتنا اليومية.[2]

1.3.2- الاستعارات الوجودية (الأنطولوجية)

يرى "لايكوف" و"جونسون"، أن هذا النوع من الاستعارات ينتج من خلال تفاعل تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية، وبخاصة أجسادنا، حيث يتم النظر إلى الأفكار المجردة كالعقل والحقيقة مثلا، والإنفعالات باعتبارها أشياء مادية، مما يمنح لنا طرقا للنظر إلى الأحداث، والأنشطة، والإحساسات انطلاقا من الأنساق الفيزيائية. ويستدل الباحثان على ذلك بتجربة ارتفاع الأسعار التي يمكن أن تعتبر استعاريا كيانا نسميه التضخم، وبهذا نحصل على طريقة للإحالة على هذه التجربة عن طريق تشخيصها.[3]

ونتيجة للعلاقة التفاعلية بين الأفراد مع البيئة الفيزيائية، فإنه يسمح لنا بأن ندرك الأشياء المجردة ونفهمها إنطلاقا من معطيات العالم الخارجي الذي تقع عليه حواسنا. وتبعا لهذا، سنورد بعض هذه الاستعارات، لنبرز دور التفكير الاستعاري في فهم الخطاب السياسي والنسق الذي يقوم عليه.

أ- نسق الدولة بوصفها شخصا*

ينظر هذا النوع من الاستعارات إلى الدولة بوصفها شخصا، ينخرط في نشاطات وعلاقات اجتماعية ضمن المجتمع الدولي، منزل هذا الشخص هو الرقعة الإقليمية، كما أنه يعيش في إطار جوار، له مواقف والتزامات تتعزّز سواء بالأفعال عن طريق إنجازها، أو بالإقرار عن مواقف معينة اتجاه قضية من القضايا، وهو ما يجعلها بمثابة

1- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص119.

2- ينظر: كلمة الشكر التي حرّرها جرج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها".

3- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص72.

* وردت نفس الاستعارة عند جرح لايكوف، في كتابه "حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل".

«شخص يمارس حياته بشكل ظاهر ويتصرف وفقا لحاجاته».[1] ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال البنية التالية:

- «إن بلادنا ... قد وافقت وأمضت على كل الوثائق الدولية».[2]

تحدّد هذه الاستعارة الدولة الجزائرية باعتبارها شخصا، يتحاور ويتجادل ليكون مصيره الاتفاق والموافقة، وهو ما يرسم ملامح سياسة الدولة التي تحترم الوثائق الدولية سياسة شعارها [الدولة: شخص مسالم]، مما يفضي إلى مسألة الحوار والإتفاق ثم الموافقة، وإن حالة عدم الموافقة سيشكل الوجه الآخر للشخص الذي يجادل ليكون قراره هو الرفض وهو ما يعكس صورة [الدولة: شخص عدواني].

وبهذا فإن هذه الاستعارة قد حدّدت سمة الدولة انطلاقا من سمات الكائن البشري فالشخص بطبيعته يمكن أن يكون مسالما أو عدائيا، وإن تبنى سلوك الشخص المسالم هو الذي يعزّز من شرعية الدولة وسياستها.

ويمكن التمثيل لذلك كما يلي:

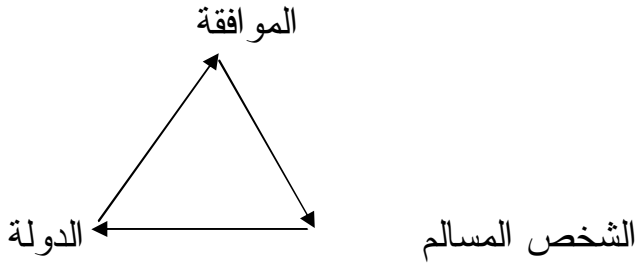

وإذا كانت هذه الاستعارة قد تأسست من خلال سمات معينة للشخص في علاقته بأشخاص آخرين، ومن خلال الحوار، والنقاش، والموافقة، فإنها قد اتخذت أبعادا وسمات أخرى، وهي نقل هذا المعنى (وهو الموافقة والإمضاء) إلى مصلحة وطنية تضم كل فئات الشعب، متجلية في اقتصاد متطور، وسيادة تامة، وبهذا فالذي يكون ليس في صالح الأفراد سيكون حتما ليس في صالح الدولة، ولذلك يمكن التمثيل لهذه الاستعارة كما يلي:

1- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص72.

2- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص28.

الدولة: الشخص الموافق

+ عاقل
+ حوار = تعزيز شرعية الحكم السياسي، إذ أن هذه الصفات التي
+ اتفاق تتصف بها الدولة تقوي من شرعيتها.
+ موافقة
+ مصلحة

الدولة: الشخص الرافض

+ اللامبالاة
+ الرفض = تعزيز شرعية الحكم السياسي، إذ أن الدولة لا تحمل
+ الاختلاف هذه السمات، وهو ما يؤكد فاعليتها السياسية.
+عدم الموافقة
+خسارة

فتظهّر هذه الاستعارة نموذج الدولة الفاعل العقلاني، الذي يتصرف كفرد فاعل وعاقل يعمل وفق خطط واستراتيجيات من شأنها أن تعمل على تحسين علاقاته وبالتالي توسيع أرباحه، وموجوداته، وتقليص تكاليفه، وخسائره، مما يمكنه من توسيع مجال رفاهيته، ويختفي الوجه الذي يعكس صورة عدم الاهتمام واللامبالاة.[1] ويمكن التمثيل لذلك كما يلي:

الشخص العاقل:

+ تفكير
+ الحرص على المصالح = وجه الدولة
+ تجنب الخسائر
+ تحقيق الأرباح
+ تطور

1- ينظر: جرج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص68.

الشخص غير العاقل:

+ اللامبالاة

+ خسائر = لا دولة

+ إفلاس

+ تخلف

ويرى "لايكوف" أن استعارة الدولة "الشخص العاقل" الذي يتولى الحرص على مصالحه وأملاكه، لا تعطينا فقط وسيلة للتفكير في المصالح التي توفّرها الدولة في حرصها على تعزيز أملاكها وأهدافها لأجل المجتمع، ولكنها تعطينا في الوقت نفسه وسيلة للتفكير في الأنماط والأساليب التي تتخذها الدولة لتفعيل ما تقوله، ما هي التدابير والإجراءات التي تستعملها هذه الدولة الشخص لتحقيق مساعيها؟ هل يمكن أن تكون مجدة أو متوانية؟[1]

إن استعارات من قبيل:[2]

- «تتولى الدولة (...) تعزيز مساعيها الرامية إلى الترقية».
- «تبقى الدولة حريصة على تسهيل ممارسة وتطور المهنة أكثر فأكثر».
- «ستواصل الجزائر (...) من أجل الترقية».
- «ستواصل نضالها».

تدفع تفكيرنا إلى تصوّر مظاهر الكائن البشري، بكل سماته المسالمة أو العدوانية المسؤولية أو غير المسؤولة، وبالتالي ننسج نسقا آخر يفسّر الدولة الشخص.

كما يضيف لايكوف أن هذه الاستعارات تسلّط الضوء على الطرق التي تتصرف بها الدولة بوصفها وحدة كلية، تفكر من أجل المصلحة العامة، لهذا فإن مصلحة الوطن عنده تصوّر استعاري يحدّده السياسيون، وهم في أغلب الأحيان متأثرون بالأقوياء لا بالضعفاء، بالشركات العظمى لا بالصفقات الصغيرة، فهم دعاة ازدهار وتنمية لا دعاة ركود وضعف.[3]

1- ينظر: جرج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص40.

2- الملحق2.

3- ينظر: المرجع السابق، ص40.

أما الاستعارة التالية:[1]

- «وطن عزيز، لم يستحق ان تلطّخ سمعته»، تظهّر الدولة على أنها شخص شريف طاهر، يتعامل مع الأخرين، ويتصرف معهم انطلاقا من ملامح وسمات الشرف والعفة ومن هنا يتم تفعيل هذه السمات وإسقاطها على الدولة، وكمقابل يتم إلغاء السمات التي لا ترتبط بالشخص الشريف وإبعادها عن الدولة. فنتحصل على التمثيل التالي:

الشخص الشريف:

+النزاهة والإخلاص.

+حسن السمعة.

+الصدق.

+الرفاهية الأخلاقية.

وعند إسقاط هذه السمات على الدولة نتحصل على ما يلي:

الدولة: الشخص الشريف

+الإخلاص لأملاك الشعب، والمحافظة عليها.

+حسن السمعة بين الدول.

+المسؤولية والتفاني في الأعمال، والصدق في تسيير موارد البلاد.

+التقدم والتطور المادي.

ومن جهة أخرى، يتم عبر هذه الاستعارة تعزيز الحكم الأخلاقي من خلال سمات الشخص الشريف المسقطة على الدولة، فنعتبر أن الدولة كيان يدعو الى الأخلاق وبالتالي تفعيل كل الأدوار والمظاهر التي ترتبط بالنزاهة والإخلاص.

ب- استعارة الأزمة شخص عدو

يظهر وجها آخر للشخص، وهو بسمات العدو الذي يرصد خصمه، محاولا إلحاق الأضرار به بمختلف الطرق، هادفا بذلك القضاء عليه وإبادته، ويظهر ذلك من خلال

1- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص103.

تحليلنا لعدد من الاستعارات الأساسية في فهم "الأزمة المالية والاقتصادية" في الخطاب السياسي، وذلك من خلال البنيات التالية:[1]

- «الأزمة المالية تضرب الاقتصاد العالمي»
- «الأزمة الاقتصادية تغزو العالم»
- «نعيش في عالم تلفه وتتهدده الأزمات»

تسمح لنا هذه الاستعارات بأن نرى ما هو غير بشري بشريا، وهو بسمة العدو الذي لا يهدأ له قرار فهو يضربنا، ويغزونا، ويهدّدنا، فيتشكل التصور الاستعاري في هذه البنيات فيما يمكن أن نسميه باستعارة "الخوف"؛ إذ تبدو البنيات أعلاه أنها مسكونة بالفاجعة المقبلة للشعب، والنهاية الموسومة بالإندثار انطلاقا من فاعلية هذه الأزمات التي تهدّد نسيج المجتمع.

إنّ الأزمة هنا عدو يتربص بنا، يضمر لنا الشر يقوم بمهاجمتنا وغزونا، وضربنا، مما يسمح لنا انطلاقا من هذه الاستعارة التفكير في الأزمة الاقتصادية والمالية لإيجاد وسيلة لمحاربتها وضبطها انطلاقا من سمات الشخص العدو.

إنّ العدو يتخذ أهدافا ومواقع إستراتيجية لشن هجومه فهو يخادع، ويراوغ، ويخنق كل مظاهر الحياة قصد الإطاحة بخصمه، ومن جهة أخرى يكون الخصم مجبرا للرد على الهجوم وذلك قصد إبعاد هجوم العدو.

ومن هنا تسمح لنا هذه الاستعارة بإعطاء تفسير متسق لهذه الخسارات المالية والأزمات الاقتصادية تبعا لصورة "العدو"، مما يجعل كل من الدولة والأفراد يتخذون سلسلة من التدابير والإجراءات، فقد يتم إعلان خطة للقضاء على الأزمات وتحقيق الأهداف والوصول إليها. كما يمكن القيام بإصلاحات وإعادة هيكلة المؤسسات، وقد يتسلح الأفراد بمخططات تجنبهم الوقوع في الأزمات المختلفة.[2]

وبهذا فإن النظر إلى شيء مجرد مثل "الأزمة" عن طريق ما هو بشري له سلطة تفسيرية تشكل لغالبيتنا، الوسيلة الوحيدة لإعطائه معنى، وتسمح لنا على الأقل بإعطاء

1- الملحق2.

2- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص54

تفسير متسق لهذه الخسارات التي تعصف بنا، وتجعلنا أفرادا واعين تماما بالعدو الذي يضمر لنا الشر لهذا نتخذ كل الاحتياطات لقهره.[1]

د- استعارة الحضارة شخص

ترتبط الاستعارة أيضا في البنية التالية: [الحضارة البشرية ... تدخل البيوت][2] بالشخص، حيث يتم تشخيص الحضارة وكأنها شخص ينتقل ويدخل البيوت. غير أن سمات هذا الشخص لا تتحدّد، إلا وفق خصوصية سلوكاته، وأفعاله، فقد يمكن أن يكون عدوا، أو صديقا، فتصير لكل واحد أهداف محددة، واستراتيجيات خاصة به. وهو ما يمكن التمثيل له، كما يلي:

الحضارة البشرية	عدو	صديق
+ سمات العدو	+ شر	+ خير
+ سمات الصديق	+ سلبية	+ ايجابية
	+ تدمير	+ مساعدة
	+ ركود	+ تطور
	+ اختلال	+ توازن

إنّ الحضارة البشرية، قد تكون شخصا صديقا، يعمل على مساعدتنا، ويوفّر لنا أساليب الراحة والرفاهية من خلال دفعنا إلى تحقيق التقدم، مما يدعونا إلى بسط أيدينا والأخذ بأفكاره ومفاهيمه، ومن ثم تحمل الحضارة البشرية سمات الصديق المرحب به. ومن جانب آخر، فإن هذه الحضارة قد تكون شخصا عدوا، يهدف إلى تدميرنا والقضاء علينا، مما يجعلنا متخوفين من سلوكاته، لهذا نعمد إلى اتخاذ إجراءات من شأنها أن تمنعه من الوصول إلينا، أو أننا سنعمل على انتهاج سلوكات مضادة لسلوكاته.

وبهذا فإنه من خلال التشخيص، نكون قد منحنا لظاهرة الحضارة بكل ما تحمله من أفكار، ومفاهيم، وممارسات معنى متجسدا، ففهمنا خصوصيتها ومفهومها انطلاقا من محددات شخصية، مما يسمح لنا بالتعامل معها وفق التجربة الذهنية التي

1- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص68.

2- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص43.

نتصورها اتجاه العدو والصديق، وما دامت حاجات الإنسان وأهدافه تفرض عليه انتهاج المسالك التي تحقق له المكاسب والتقدم، سيتمكن من تحديد انشغاله بتبني حضارة الشخص الصديق الذي يساعدنا.

ووفقا لهذه التحليلات؛ نخلص إلى أن الاستعارات الوجودية طبيعية، ودائمة الحضور في فكرنا لدرجة أنه لا يتم الإنتباه إلى طابعها الاستعاري، لأننا نتخذها عادة بديهيات، كما نعتبرها أوصافا مباشرة للظواهر الذهنية، حتى أنه لا يخطر ببالنا أنّ الأمر يتعلق بتصورات استعارية، لأن أغلبنا يفكر، ويتصرف انطلاقا من هذا النموذج.[1]

ومن المفيد الإشارة إلى ما تنبه إليه "لايكوف وجونسون"، وهو أن بمجرد اعتبارنا، أن الأشياء ليست فيزيائية، فإنّه لا يسمح لنا بأن نفهم عنها شيئا، بينما الأشياء الفيزيائية التي تقع عليها حواسنا، نستطيع فهمها وكشفها، لذلك رأى الباحثان أنه بالإمكان تطوير الاستعارات الوجودية، وذلك بتصور كل النماذج الذهنية التي تمدنا بها ثقافتنا وتجاربنا، واحتكاكنا بالعالم الخارجي، ومن هنا يمكن القول أن هذه الاستعارات تبدع مشابهات من نوع جديد، وهي ناتجة عن الوضعية التي تنتمي إلى نسقنا التصوّري، أي استعارية الفكر البشري.[2]

2.2.3- الاستعارات الاتجاهية (Orientational métaphors)

يرتبط هذا النوع من الاستعارات بالإتجاهات الفضائية: "عال– مستقل داخل– خارج، أمام – خلف، فوق – تحت، والتي تنبع من وضعيات الجسد وكيفية اشتغاله في المحيط الفيزيائي، مما يعطي لتصوراتنا توجها فضائيا. ويرى "لايكوف" و"جونسون" أنه نتيجة لـــ «كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي عليه، وكونها تشتغل بهذا الشكل في محيطنا الفيزيائي، فإن مرتكزاتها واقعة في تجربتنا الثقافية، وواقعة في تعاملاتنا اليومية وتجاربنا».[3]

إن الإنسان بفعل تفاعل جسده مع المحيط الخارجي، يُنتج مفاهيم كثيرة ومتعددة تعكس تفاعله والفضاء، فنحن نشير إلى "الأسفل" للتعبير عن حالتنا السلبية، كالتخلف

1- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص48.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص153.

3- المرجع نفسه، ص33.

والأسى وانهيار المعنويات، ونشير إلى "فوق"، كلما صادفتنا حالة من ارتفاع المعنويات والتقدم والتطور، وبالتالي فإن هذه الاستعارات الاتجاهية القائمة على الثنائية لا تقوم فقط بترتيب كلامنا ومنحه المرونة الضرورية، بل تقوم كذلك بتنظيم أعمالنا ومعتقداتنا فتحمل الاستعارات ذات الاتجاه الأعلى "السعادة"، بينما يحمل الاتجاه "تحت"، "الشقاء" فـــ"آدم" – عليه السلام- حين ارتكب المعصية جاءه الأمر الإلهي الصارم بالنزول إلى "تحت"، بعدما كان في الأعلى (الجنة)، والأعلام تنكس عند النكبات وترتفع عند السعادة، لذلك تتعدى الاستعارة، اللغة إلى مجال الفكر الذي يتحكم في لغتنا وأعمالنا وهو ما يجعل هذا النوع مثبتا في نسقنا التصوري، ندرك عبرها العالم من حولنا ونمارس فيه تجاربنا بشكل استعاري.[1]

وسنحاول فيما يلي أن نقدّم تحليلا لكيفية نشوء كل تصور استعاري من تجربتنا الفيزيائية والثقافية في الخطاب السياسي.

أ- استعارة العلو اتجاه نحو التقدم والانخفاض انحطاط

من جملة الاستعارات الاتجاهية التي تحمل دلالة "العلو"، والتقدم في مقابل الانحطاط، ما ورد في البنية التالية: «الجزائر تسمو فوق أحقادها».[2]

إنّ الفرد كلما يتحرك تبعا لحركة صاعدة يحقق سمة ايجابية، يتجاوز بها حالة الركود والجمود إلى حالة الارتقاء، وذلك انطلاقا من تجربتنا الثقافية، والفيزيائية التي تعطينا استعارة "الجيد" فوق و"السيئ" تحت،[3] وبالتالي تتضمن هذه البنية ما يلي:

الأحقاد	**السمو**
+ سلبية	+ العلو
+ اختلاف	+ الايجابية
+ أسفل	+ التقدم

1- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص71.

2- الملحق2.

3- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص36.

وبهذا لا نفهم تصوّر [العلو]، عن طريق تصوّر [السمو] المجرد فحسب، بل كذلك باعتباره منبثق من مجموع الوظائف الحركية التي تنتج عن الوضع الذي نعيش فيه،[1] فتتضح صورة السمو والعلو من خلال:

+ العمل.
+ تجاوز المحن، والمشاكل، والفتن.
+ التسامح (عن طريق المصالحة الوطنية).
+ تحقيق التطور (بعث المشاريع).
+تحقيق الأفضل...

بينما ينتج من سمة "الأسفل"، عن طريق "تبني الأحقاد"، تجميد كل هذه المفاهيم، وهو ما يحقّق الجمود واللااستقرار في المجتمع.

ب- استعارة "الارتفاع – استقرار"، "الانخفاض – تدهور".

تتبع هذه الاستعارة من بنية "تقلبات أسواق النفط"،[2] بحيث يأخذ الاتجاه في هذه الاستعارة مسارين:

1- المسار الذي يتحدد من الأسفل إلى الأعلى: وينتج عنه تحقيق الأرباح، حيث يرتفع مؤشر البترول، مما ينجم عنه ارتفاع في مدخولات الدولة، وبالتالي تحقيق التقدم والاستقرار.

2- المسار الذي يتحدد من الأعلى إلى الأسفل: حيث ينتج عنه تراجعا لأسعار البترول وبالتالي تنخفض المدخولات، مما يجلب حالة الجمود، والتدهور، للمجتمع بصفة عامة.

إن هذه الاستعارة تجعلنا نقرأ الواقع، انطلاقا من دلالة هذه الاتجاهات، مما يؤدي إلى التأثير في المجتمع، فمؤشر "الارتفاع" الذي يحمل مظاهر الرفاهية والاستقرار في المجتمع، يبقى مرهونا بارتفاع أسعار البترول، بينما تحدث حالة من التدهور في كل مجالات الحياة، إذا تحدد مؤشر "الانخفاض"، وعليه نرى أن "الاتجاه" يوسّع من دلالة الاستعارة حيث نقرأ فيها الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، ومن هنا تتعدى

1- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص37.

2- الملحق2 .

الاستعارة مجال اللغة إلى مجال الفكر واشتغال الذهن الذي يتحكم بدوره في تصرفاتنا وكلامنا.[1]

ولذلك يمكن التمثيل لهذه الاستعارة كما يلي:

ارتفاع أسعار البترول	انخفاض أسعار البترول
+ ارتفاع مدخولات الدولة + تحقيق أرباح +الرفاهية: - المواطن: ارتفاع المدخول. (ارتفاع المستوى المعيشي، ارتفاع القدرة الشرائية...). - الدولة: ربح في ميزان الصادرات. +القضاء على الأزمات. +استقرار.	+ انخفاض ايرادات الدولة. +عجز في الميزان التجاري. + تدهور الأوضاع. - المواطن: انخفاض في المدخول. (انخفاض المستوى المعيشي، انخفاض القدرة الشرائية...). -الدولة: خسارة في ميزان الصادرات. + أزمات. +اختلال.

وخلاصة القول أن هذه الاستعارة، تهيئ الفرد وتخلق عنده حالة لرد الفعل أمام الوضع السائد، فمن شأنه أن يأخذ "سمة أحد الاتجاهين"، فتكون بذلك تحذيرا وتنبيها وربما تهديدا.

وفيما يلي رصد للاستعارات الواردة في الخطاب السياسي الرئاسي:[2]

1- ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص71.

2- الملحق2.

الاستعارة	الاتجاه	الدلالة
- ينبغي أن تقي (الإصلاح) من مخاطر الانزلاق. - إن التحديات التي يتعيّن رفعها تحديات عظيمة.	- الانزلاق= أسفل. - الرفع= أعلى.	- الأسفل: ضعف. - الأعلى: قوة.
- ... السير بالجزائر قدما. - نغض الطرف عن استمرار غياب الأمن.	- قدما= الأمام. - غض الطرف = عدم التفكير بالرجوع إلى الوراء.	- الأمام: تطور - الوراء: تخلف
- ... تقلبات أسواق النفط. - سنرفع وتيرة التوظيف. - قد تجسد الانشغال ...ارتفاع عدد المتربصين. - سيتم رفع الدعم.	التقلب ← أعلى: رفاهية التقلب ← أسفل: تخلف - رفع التوظيف: رفاهية. - رفع الدعم: تحقيق الرفاهية.	- الأعلى: استقرار - الأسفل: تدهور
- تحقيق نسبة عالية من الإكتفاء. - تحسين الظروف على رأس أولوياتنا.	- الأعلى: اكتفاء وقوة. - رأس: أعلى.	- الأعلى: قوة. - الخضوع: ضعف.

نخلص إلى أن الاستعارات الاتجاهية، شأنها شأن الاستعارات الوجودية، حيث لا يمكننا التنبه إلى طابعها الإستعاري، كوننا نتواصل بها يوميا، حتى أصبحت مسلمات وبديهيات.

3.3.2- الاستعارات البنيوية:

تتأسس الاستعارات البنيوية على ترابطات نسقية داخل تجربتنا، حيث تسمح لنا بإيجاد الوسائل الملائمة لتسليط الضوء على بعض المظاهر، فتعمل على إظهار بعض التصورات وإخفاء أخرى. إننا عندما نتبنى رأيا معينا، نستعمل كل الوسائل المتاحة للدفاع

عن تصوّراتنا: التحدي، والتهديد، والتسلط، والشتم، والتلميحات... بمحاولة تقديم حجج عقلية على شكل أسباب، وذلك عن طريق حمل الآخر تصورات تعكس ما يسعى إليه. ولكي نفهم فاعليه هذه الاستعارات التي تعتبر وسائلا تكتيكية، تقدم باعتبارها أسبابا.[1]

ولتوضيح ذلك سندرس بعض البنيات الواردة في الخطاب السياسي، ومثاله:

أ- «يجب إصلاح العدالة لأن العدالة هي التي ترتقي إلى مستوى الرهانات الاجتماعية».[2]

إن عملية الارتقاء وتطوّر المجتمع مرهون بإصلاح قطاع العدالة:

الإصلاح

+جهود

+إلغاء (السابق: سلبي) ⟵ يتجسد قطاع العدالة

+بحث وتخطيط

+أشخاص مؤهلين

+طرح البديل (الإيجابي).

+ تحقيق التطور

تخلق استعارة "الإصلاح"، تحديا لكل المشاكل التي تواجهنا مما يجعل مظهر الارتقاء مرهون بوجوده.

ب- «ليس في نيتي القيام بأية حملة مهما كانت ... لأنني مقتنع بأن هذه الطريقة ليست الطريقة المثلى لإعادة البناء».[3] = سخط.

تخفي هذه الاستعارة التجارب التي كانت سببا في إنتاجها، حيث نجد أن رفض هذه الحملة نجم عن تجارب سابقة، أسفرت عن هذا الحكم وعدم الإقتناع بهذه الطريقة يقود إلى سخط من كل الأشكال التي تفتعل مثل هذه الطريقة، مما يفرض اللجوء إلى طريقة بديلة نابعة من تجارب أخرى (وما هذه التجارب سوى مخططات الدولة)، لها

1- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص82.

2- الملحق2.

3- الملحق نفسه.

دورها الإيجابي في تحقيق البناء والمصلحة العامة للمجتمع وهو ما يساهم في التفاف الجماهير ودعم هذه الإصلاحات.

الحملة (الطريقة السابقة)

+ عدم الايجابية
+ عدم البناء ←——— سخط (ضد الدولة)
+ عدم تحقق الإنشغالات
+ عدم التوصل إلى الحلول
+الاختلال

الطريقة الأخرى

+ إيجابية وفاعلية
+ بناء وتطور ←——— تبني (فعل الدولة)
+ تحقيق الإنشغالات
+ التوصل إلى الحلول
+ازدهار

ج- «أستجيب للتطلع ... لأنني واع بحدودي، ومدرك لإمكانياتي».[1] = تحدي

إنّ التطلع يقتضي العمل على تحقيق التنمية، وتبني كل أسباب التقدم للبلاد من قضاء على الفتن، وتعزيز للإستثمارات، وتحقيق نمو في كل المجالات، وهو ما يشكّل تحديا على أساس أنه يملك كل الإمكانيات التي من شأنها أن تحقق التطور والاستقرار خلافا عن الطرق السابقة المتبعة، وهو ما يؤدي إلى تعزيز سياسة الدولة.

وسنحاول توضيح ذلك في الجدول التالي:

الاستعارة	الوسيلة
- وجوب الإصلاح - عدم الإقتناع بالحملة - الوعي بالإمكانيات	الحث سخط تحدي

1- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص105.

وخلاصة القول أن الاستعارات البنيوية، تنشأ من تجربتنا مع الأشياء والواقع الاجتماعي، والثقافي، لذلك نراها تختلف باختلاف المجتمعات، إذ أن كل ثقافة تتخذ طريقة أكثر أو أقل نجاحا في التعامل مع بيئتها، وهي بذلك تحدّد واقعا اجتماعيا عند الناس الذين يتمكنون بمقتضاها من التفاعل اجتماعيا. وعليه تلعب الاستعارة دورا دالا في تحديد ما هو واقعي وحقيقي عندنا.[1]

4.2- التحليل بنموذج الاستعارات المفهومية:

إنّ هذا النموذج لا ينفصل عن الاستعارات الكبرى، التي فرّعها "جرج لايكوف ومارك جونسون"، حيث نجد أن هذه الاستعارات لا تشتغل مستقلة عن بعضها البعض وإنما هي تصوّرات يمكن استنباطها من بنية الخطاب ومن السياق الكلي، وهي مؤسسة على تجاربنا، إذ يمنح سياق التداول، والتجربة الحياتية تصورات تقود تفكيرنا إلى استخلاص مفهوم محدد حول مسألة معينة عن طريق تعابير استعارية. وقد أشار "أمبرتو ايكو" إلى هذا النوع من الاستعارات، في حديثه عن الاستعارة السياقية، وهي استعارة النص، أي الاستعارة التي تكشف عن قاعدة إيديولوجية لمجتمع من المجتمعات. وبهذا يمكن اعتبار الاستعارات المفهومية بمثابة منظومة اجتماعية، يتم عبرها تشغيل كل المعارف والتجارب الثقافية، والاجتماعية.[2]

لقد اعتبر "لايكوف وجونسون"، أن الاستعارة تعتمد أساسا على التجربة الحياتية للإنسان، ذلك أن ملامسته للأشياء، وتفاعله معها تكوّن لديه تجربة عادة ما ينقلها ويسقطها على تصوراته، محاولة منه فهم المجرد انطلاقا من المحسوس، وهو ما يشكّل عتبة لفهم هذه المجردات بالإعتماد على خصائص الأشياء المادية وكيفية اشتغالها وانطلاقا من هذا المبدأ، سندرس النسق الاستعاري المكوّن لمفهوم الفتنة، والزمن والتقدم في الخطاب السياسي، اعتمادا على التجارب المستمدة من المجال الطبيعي.[3]

1- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص151

2- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص107.

3- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص140.

إنّ العاصفة، والنار، والظلمة تجارب طبيعية حياتية يعيشها الإنسان، ويتفاعل معها يوميا وباستمرار، مما يجعله يسقطها على تعابيره اليومية، وفي هذا المجال تندرج التعابير الاستعارية التالية:

- «إن المعطيات التي نعيشها [...] تجر الجزائر ... من أجواء ربيعية، إلى عواصف»
- «فتن لا يقدر على إطفائها، إلا السلام المؤمن المهيمن»[1]
- «واجبنا اليوم هو إخماد نار الفتنة»[2]
- «... الحفاظ على الأسرة من الانزلاقات الظلامية»[3]

أ- الفتنة عاصفة

يقوم التصور الاستعاري الأول للفتنة، على مجال الطبيعة وهو العاصفة، حيث أن بنية العاصفة الموضوعية (أي الموجودة بمعزل عن البشر وعلاقاتها الداخلية والخارجية) من ناحية، والتفاعل البشري من ناحية أخرى، تنقل بأكملها، لتشكل بنية افتراضية للفتنة إذ أن الاستعارة تنقل كافة عناصر المجال الأصلي (العاصفة)، إلى المجال المستهدف (الفتنة)، حسب مفهوم لايكوف وجونسون لها، فهما لا يحصران المشابهة الاستعارية في بعض السمات التي يشترك فيها المستعار منه والمستعار له وإنما يتم نقل كل الخصائص والسمات من المجال الأصلي إلى المجال المستهدف ومحاولة ايجاد لها اسقاطات استعارية، مما يخلق بنية أخرى تساهم الاستعارة بخلقها وتشكيلها.[4]

وفي ظل هذا التحديد، تقتضي الاستعارة المفهومية "الفتنة عاصفة"، في مستواها المفهومي الذهني، نقل عناصر البيئة الجوية وتفاعلاتها، وهذه المظاهر يمكن للحواس أن ترصدها لتسقط على مجال الفتنة الذي ينجم عن سوء الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية للدولة. إنّ مجال المصدر هو مجال حالة طبيعية (العاصفة)، لها مسار معين، ومجال جغرافي معين وقوة معينة، يكون فيها الجو في حالة هيجان ولااستقرار، تختفي فيها الشمس، وتتلبد السماء وتنعدم الرؤية بانعدام النور، مما يجعل الإنسان يتعرض لكل

1- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص41.

2- المرجع نفسه، ص115.

3- خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة اختتام حملته الانتخابية، وسنشير إليه لاحقا بـــ "ملحق1".

4- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص146، 147.

مظاهرها فتؤثر على كل نشاطاته، وقدرته في التحرك، مما يسمح هذا المجال بنقل كافة عناصره إلى مجال الفتنة، فيتشكل مفهومها.[1]

ويمكن التمثيل لهذه الاستعارة بالجدول التالي:

المجال المصدر (العاصفة)	المجال المستهدف (الفتنة)
- مسار معين	- رقعة جغرافية معينة.
- مجال جغرافي معين	- الدولة (الجزائرية)
- قوة وشدة معينة	- شدة وحدة أعمال العنف
- انعدام النور (انعدام الرؤية)	- انعدام التعقل (انعدام الوعي)
- عدم القدرة على التحرك	- عدم القدرة على التكيف

يقودنا هذا التحليل إلى نتيجة مهمة حول استثمار مجال العاصفة في تشكيل مفهوم الفتنة، بحيث ندركها انطلاقا من مظاهر العالم الخارجي، ونفهم كيفية اشتغالها وبالتالي فإنّ هذه الاستعارة تقابل كلي" للمجالين: المصدر "العاصفة" والمستهدف "الفتنة". وهو ما يدعونا إلى إجراء تقابل آخر بين مجال السلم والاستقرار الذي نربطه بالشمس كبديل عن مجال الفتنة والعاصفة.[2]

ويمكن التمثيل لذلك كما يلي:

المجال المصدر (الشمس)	المجال المستهدف (الاستقرار)
- مجال جغرافي معين.	- رقعة جغرافية معينة (الجزائر).
- وجود النور (وجود الرؤية)	- وجود التعقل والإدراك.
- القدرة على التحرك	- القدرة على التكيف.

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص147.

2- ينظر:المرجع نفسه، ص142.

ب) الفتنة نارٌ:

توصف الفتنة في الخطاب السياسي أيضا، على أنها نارٌ تؤذي، كما هي حالة النار في الطبيعة، ويمكن تعيين السمات التالية والتي تنقل إلى مجال الفتنة، وهو ما يشكّل مفهومها:

[النار]

+ أذى
+ خطر
+ كوارث (قتل، تخريب...)
+ حالة اضطرابية

وتتطلب عملية إخماد النار، اجراءات محكمة، من شأنها أن تعمل على إطفائها وهو ما ينقل الى "تصور الفتنة"، حيث أن استمرارية كل منهما تؤدي إلى نتائج سلبية أكثر، وهو ما يتطلب سرعة إيجاد الحل للقضاء عليها، إذ أن المدة الزمنية تتدخل لتحديد ضرورة إيجاد الوسيلة لإخمادها بسرعة فإن:

النار	الفتنة
- سرعة الإنتشار	- سرعة تدهور المجتمع
- ضرورة تعجيل إطفائها	- ضرورة تعجيل الحل للمشاكل
- ضرورة تفعيل خطة لإطفائها	- ضرورة اتخاذ تدابير
- تتسبب في حدوث كوارث متعددة	- تتسبب في أزمات مختلفة

ج) الفتنة ظلمة:

يسقط التصور الاستعاري للفتنة هنا على مجال الظلمة، والذي يتفاعل معه البشر بصورة مباشرة، لهذا أضحى مجالا خصبا لإنتاج الكثير من الاستعارات يتم فيها الربط بين مجال المصدر "الظلمة"، ومجال الهدف " الفتنة"، إذ أن هناك توافقات بين المجالين وهذا النوع من الاستعارات شائع خاصة في المجالات الدينية والسياسية، فالأديان بما فيها الإسلامي، تقدّم نفسها باعتبارها نورا بينما ما يخالفها يعتبر ظلمة وليلا، والأمر نفسه

بالنسبة في السياسة، فالدولة عادة ما تقدم نفسها باعتبارها شمسا أشرقت لتنير الظلام، كما يمكن إسقاط تجليات هذا التصور في مجالات أخرى مثل العلم نور والجهل ظلمات.[1]

ويتم في الخطاب السياسي إسقاط مجال الظلمة على الأزمات المختلفة التي تضرب البلاد، لهذا توصف كل الأفعال التي تحجب السلم وتسد مظاهر التنمية والتطور بـــ«الانزلاقات الظلامية».[2] إذ أن الظلمة تمنع الرؤية و«تسدُ البصر وتمنعه من النفوذ»[3] لهذا تعتبر حالة سلبية تقود إلى الانزلاق وعدم الإدراك. وكما أن حالة الظلمة حينما تقع فإن كل الناس يجمعون أنه ثمة حالة ظلمة وهو ما يمكن إسقاطه أيضا على حالة الفتنة التي يجمع فيها الناس أنها حالة اللااستقرار باعتبارها تجربة عاشها كل الشعب الجزائري.

ومن هنا يحدث التفاعل الإنساني مع مجال الظلمة من جانبه السلبي، وهو عدم إمكانية الإدراك والوعي فيه، وعدم معرفة المحيط الخارجي؛ مما يدفع الى حدوث المخاطر والفتن، ويقودنا هذا المنطلق إلى إجراء تقابلي بين مجال الفتنة، ومجال الظلمة حيث نجد أن:

الظلمة	الفتنة
+ انعدام الضوء	+انعدام العقل
+انعدام الرؤية	+انعدام الفهم
+عائق للرؤية	+عائق للاستقرار
+عدم المعرفة والإدراك	+عدم التقدم

إن الضوء هو ما يمكّن العين البشرية من الرؤية وبالتالي يكون الاهتداء إلى الطريق، بينما انعدامه في الظلمة يعني عدم، قدرة العين على الرؤية ومنه تحدث الإنزلقات، ومن جهة أخرى، فإن العقل هو ما يمكّن الفرد من التفهم والاهتداء، وإن غيابه يؤدي إلى الفتن واللاأمن. ومن ثم تأثير الفتنة على القدرة في التمييز والإدراك وبالتالي

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص140-142.

2- الملحق1.

3- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، ط1، دار صادر، بيروت، 1992، (مادة: ظلم).

فإن هذا التفاعل بين المجالين، يمثّل النسق الاستعاري لتصوّر الفتنة في الخطاب السياسي.[1]

ويقودنا هذا التحليل إلى نتيجة أخرى وهو أن هذه الاستعارات ما هي إلا أداة تصوّرية إدراكية تم استخدامها من أجل استعارة أكثر مركزية، وهو ما يمكن أن نحدّده لغويا بأن "التعقل رؤية واستقرار"، مما يفضي إلى الحديث عن الأوضاع السياسية تصوريا، إذ أن ضرورة التعقل وعدم الانزلاق تؤدي لا محالة إلى الرؤية والتفهم وهو ما يضيء جوانبا من مجالات الحياة، فتكون النتيجة هي القضاء على الفتن.[2]

وبهذا نخلص إلى أن الفتنة واقع اجتماعي، وسياسي، ساهمت الاستعارة في التعامل معها من خلال الظواهر المادية، وهو مايجعلنا نعتبر أن الاستعارة ليست شيئا وصفيا منفصلا عن الحقيقة السياسية؛ بل إنها هي الوسيلة الذهنية التي نصنع بها الحقيقة السياسية ذاتها، وهذا ينطبق على النسق الاستعاري الذي استخدمه الرئيس، من خلال تعامله مع الفتنة ومعرفته بالظواهر المادية كالنار، والعاصفة، والظلمة، وهو ما دفع إلى إيجاد الحقيقة التي يسميها بالفتنة ومحاولة الوصول إلى الحل الذي يجسّد الشرعية.[3]

د) استعارة الفناء زمن أو الزمن فناء

من خلال تتبع بعض الاستعارات في الخطاب السياسي، يتضح لنا جليا أن الزمن قد يتحول إلى مصدر للشر، كما هو مصدر للخير، فهو الذي يؤسس لتشكل الخيرات، كما يؤسس لاندثار الأشياء وزوالها، وهو مفهوم مستقى من تجربة الإنسان الحياتية، فالزمن منذ الأزل كان ولا يزال ضد الإنسان، يتسابق معه في معركة لا نهاية لها، ويتعزز هذا المفهوم في الاستعارات التالية:[4]

- «نهاية عهد النفط آتية لا محالة».
- «اقتربت نهاية عهد البترول».

1- ينظر:عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص142

2- ينظر: المرجع نفسه، ص142.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص153.

4- الملحق2.

قرّ في خلد الجزائريين بما لا جدال فيه أن الرابطة الفعلية التي باتت تربط بينهم بصورة ملموسة هو البترول والصحراء،[1] لهذا بات المواطن الجزائري يتفاعل مع هذا الفضاء وأنزله منزلة الثابت الذي يستحق كل إكبار، فالبترول قد منح الحياة على مر الزمن وبصمت وحافظ على استقرار المجتمع وتماسكه، غير أن زوال هذه الثروة بات وشيكا، وبذلك فإن هذا التهديد للعافية الاقتصادية، بات يعتبر تهديدا للقتل والموت للمواطنين، فيكون نفاذ هذه الطاقة بمثابة قطع حبل الحياة.[2]

ويظهر في هذه الإستعارات أن المجال الزمني، قد تدخل ليحدّد النسق التصوري لمفهوم "البترول"، فيبدو لنا ذلك جليا من خلال تصورين:

1- التصوّر الذي يشير إلى الزمن «كما لو كان شيئا نفسيا، وموردا محدودا، وكما لو كان مالا»،[3] إنه يحقق الاستقرار والسلامة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية اعتبارا أنه قد منح لنا "البترول"، أحد مصادر الثروة، والرخاء، والاستقرار للأمة الجزائرية بأكملها.

2- التصوّر الذي يشير إلى أن الزمن هدم للسلامة الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية للمجتمع الجزائري، وذلك من خلال قضائه على هذه الثروة، فيهدد بذلك الاستقرار ويجلب الشح، والنقص في كل الموارد ما دامت حالة الرخاء التي يعيشها الشعب نتيجة أكيدة لمؤشر "البترول". ومنه يمكن أن نتحصل على التمثيل التالي:

الزمن:

+ مصدر للرفاهية والرخاء والاستقرار.
+ مصدر النقص في الخيرات.
+ مصدر للركود والانحطاط.
+مصدر فناء وزوال.

1- سليمان عشراتي، الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، (د.ط)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د.ت)، ص193.

2- المرجع نفسه، ص107.

3- جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص26.

البترول:

+ مصدر للخيرات

+ مصدر للرفاهية والتقدم

+ مورد محدود وهو ما يجعله:

+مصدر للرخاء.

+مصدر للانحطاط.

ومنه ينتج:

الزمن = [+ مصدر للثروة]

[+ مصدر للفناء]

وانطلاقا من هذا المفهوم يمكننا أن نستعير تصورات أخرى نسقية منها: الزمن خسارة، الزمن ضياع، والزمن شيء متحرك، ولكن يمكننا أن نتصور؛ أننا نتحرك والزمن ساكن، وأن حركتنا هذه نتج عنها استغلال ونفاذ للطاقة، وفي كلا الحالتين يتم اعتبار أن الفناء والزوال مصدرها الزمن.[1]

- الزمن شيء متحرك يتحرك باتجاهنا ليتعدى كل شيء.

↓

(نفاذ للطاقة)

- الزمن ساكن ونحن نتحرك عبره، باستغلال الموارد (البترول).

↓

(نفاذ للطاقة)

ومادامت "عهده الخيرات" قد أصبحت وشيكة على النهاية، فإنه يتحقق فعل التهديد الذي تمارسه الاستعارة من خلال أزمة نفاذ البترول، لتحقق فعلا أخر يمثل الترغيب والحث على الحيطة، والعمل، و«إنتاج الثروة خارج المحروقات».[2]

1- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص62.

2- الملحق2.

هـ) رياضيات الاستعارة:*

تلج الرياضيات مضمار الاستعارة من خلال نظرية الاحتمال، ونظرية الإحصاء ويرى "لايكوف" أن هذه الاستعارات واردة على نحو شائع في تفكيرنا اليومي، إلا أن طبيعتها الاستعارية لا تلاحظ في أغلب الأحيان، لذلك ليس غريبا في أن عملية إحصاء معدلات التطور والنمو، يتم فيها تشغيل "استعارة الرخاء"، انطلاقا من مؤشرات أرقام الرياضيات، فالحديث عن "تخصيص الدولة للقطاع الفلاحي (...) ميزانية قدرها 1000 مليار دينار جزائري"،[1] تقودنا إلى تفعيل استعارة المسؤولية؛ إذ أن الدولة تشعر أنها مسؤولة على مساعدة الفلاحين، ولكنها في مقابل ذلك تنتظر انجازات من طرف الفلاحين والمتمثلة في رفع الإنتاج، وهو ما أطلق عليه جرج لايكوف بـــ «الحصص المراهن بها»،[2] فالدولة تراهن بقوة على دعم المنتوج، لكن في مقابل ذلك يجب أن يكون هناك ارتفاع في كمية المنتوج، مقارنة مع السنوات التي لم يكن هناك دعم من قبل الدولة فتحتفظ بحصتها عن طريق انخفاض مستوى الواردات نتيجة لارتفاع المنتوج، وهو ما يخلق لها توازنا في ميزانها التجاري.

كما تظهر البنية التالية، مظهرا من مظاهر الإنتعاش الاقتصادي من خلال تقليص حجم المديونية للخارج وذلك عن طريق النسق الاستعاري الرياضي والذي يحدده مؤشر رقمي وهو "تقلصت (المديونية) من 29 مليار دولار (...) إلى أقل من 5 ملايير دولار حاليا"،[3] بحيث تشير الأرقام إلى مفهوم "التطور وتحقيق الانتعاش"، وهو ما يدفع إلى إدراك مفهوم بداية التخلص من التبعية الأجنبية، بخلق حالة من الاكتفاء والتقدم.

وبذلك يمكن التمثيل لرياضيات الاستعارة كما يلي:

---

* ورد المصطلح عند جرج لايكوف في تحليله استعارة "المجازفة قمار" في كتابه حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ص28.

1- ملحق1.

2- جرج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارة التي تقتل، ص26.

3- ملحق1.

الرياضيات (الاستعارة)	الدلالة
- دعم 1000 مليار دينار	رفع الدعم (التطور)
- مسح 41 مليار دينار	المسؤولية (تعزيز الشرعية)
- تقلص 5 ملايير دولار	تقلص الخسائر (الإكتفاء)

كما يمكن تمثيل ذلك في المربع التالي:

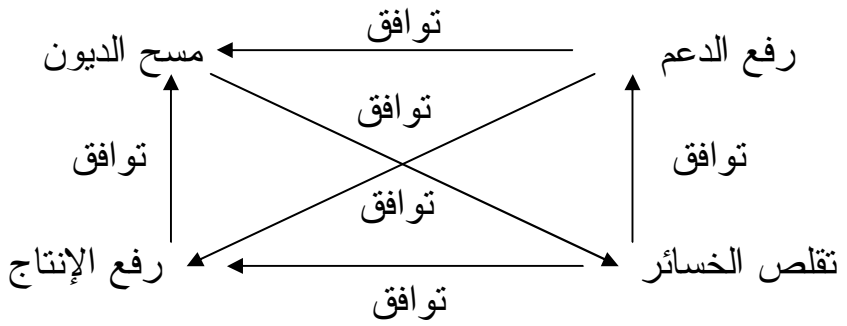

كما يمكننا أن نسوق من البنيات التالية، استعارات مفهومية بغية اكتشاف "سمات المجال المصدر"، التي تنقل "إلى مجال الهدف". وهو ما يجعل من الاستعارة تفاعل كلي بين المجالين:[1]

- «صار صوتها – الجزائر – مسموعا لدى كل شركائها في العالم».
- «سيتم ... الإبقاء على الباب مفتوحا أمام الذين يريدون ... العودة إلى صفوف الأمة».
- «... إشاعة قيم السلم، والتآخي، والتكافل».
- «... ترقية المصالحة الوطنية من أجل وضع حد للفتنة»، «وقاية شعبنا من بذور الحقد والضغينة».

«...مواصلة البناء الوطني، والتكفل..»./«ترشيد الحكم...»/، «تجسيد التقدم...»

ومن هذه الاستعارات المفهومية، التي أمكن استخلاصها ما يلي:

1- مشروع عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة ترشحه للانتخابات الرئاسية أفريل 2009، وسنشير إليه لاحقا بـــ "ملحق3".

1) **الصوت**	**وجود (هوية)**
↓	↓
[+ مادي]، [+ كلام]	[+ مادي]، [+ أفعال]
[+ أداة]، [+ فعل]	[+ ممارسات: أداة]
[+ قدرة]، [+ حياة]	[+ حياة]
2) **السلم والأمن**	**طاعة**
↓	↓
[+ استقامة]، [+منفعة]	[+ استقامة]، [+منفعة]
[+ تقريب الناس بعضهم]	[+ تقريب العبد إلى ربه]
[+ تقريب الناس إلى ربهم]	[+ نشر الفضيلة بين الناس]
[+ فضاء للصلح والتسامح]	[+ فضاء للعفو والتسامح]
3) **المصالحة الوطنية**	**موعظة**
↓	↓
[+ تسامح وعفو]	[+ كلام مستقيم ومؤثر]
[+ استقامة]، [+ رضا]	[+ رضا الله]
[+ تكيف]، [+ فائدة]	[+ تعامل وتكيف مع المجتمع]
4) **القتل، والتخريب، والعنف**	**معصية**
↓	↓
[+ أفعال]، [+ إيذاء]	[+ أفعال]، [+ إيذاء]
[+ إلحاق الضرر	[+ مخالفة الدين والمجتمع]
[+ اختلاف التوازن في المجتمع]	[+ الأضرار: للنفس/والمجتمع]
[+ مخالفة للشريعة الدينية والمجتمع]	[+ كفر وظلال]

5) **البناء، والإصلاح، والإرشاد، والتوجيه**	**معارك**
↓	↓
[+ موارد: مادية وبشرية]	[+ أسلحة وذخيرة]
[+ خطة وإستراتيجية]	[+ تفعيل خطة وإستراتيجية للهجوم]
[+ أفعال: بناء، إصلاح...]	[+ أفعال: هجوم، تكثيف الجهود]

وخلاصة القول، أن أي خطاب سياسي يقوم على مجموعة من التصوّرات والمفاهيم التي تقوم أغلبها على استعارات مفهومية تعتمد على تقابل ذهني بين مجال محسوس ببنيته ومنطقة الداخلي، ومجال مجرد يعتمد على تجاربنا وتصوراتنا، وهو ما يساعدنا في فهم وإدراك محيطنا، وتجاربنا.

5.2- التحليل بنماذج العلم المعرفي

قامت الأعمال التي تبنت "العلم المعرفي" على أبحاث فلسفية، ونفسانية وعلمية سعيا إلى إعادة النظر في مكوّنات الإنسان ووضعه، وعلاقته بالطبيعة، وبغيره من الناس بإثارة مشكل المعرفة الإنسانية من حيث فطريتها أو اكتسابها أو من حيث أنها مزيج بين الفطرة والاكتساب، بالإضافة إلى البحث في كيفية اشتغال الذهن البشري، عن طريق سلوكه وآليات تفكيره، وفي هذا السياق أيضا نفهم الاستعارات تحت شعار" العلم المعرفي" الذي يسعى إلى إدراك كيفية اشتغال الدماغ والفكر البشريين، وإلى التعرف على الآليات التي تسعف الإنسان لإنتاج المعرفة، والتصرف في أهم أداة لها وهي اللغة.[1]

وعمدت النظرية التجريبية المعرفية، إلى تبني أطر "العلم المعرفي" لتطبق في الدراسات الاستعارية الرائجة، إذ يحتل مفهوم الخطاطة مركزا أساسيا لدى "جرج لايكوف" و"مارك جونسون" وما هذه الخطاطة إلا اسما آخرا للإطار، والمدوّنة والسيناريوهات التي تساهم في خلق المعرفة وتنظيمها وإبراز خصائص ومكوّنات التعابير الاستعارية.[2]

1- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص65.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص78.

وللتدليل على دور هذه المفاهيم، سنحلل بعض الاستعارات لنبيّن أنه عن طريق تفاعل جسم الإنسان مع العالم المحيط، بما له من خيال، وقوة إبداعية يتسنى له البحث والتعرف، وإدراك الأشياء، إذ أن الإطار، والمدونة، والسيناريوهات ما هي إلا بنيات الفرد الذهنية، التي لا تشتغل بمعزل عنه، إنما هي ملتصقة به لهذا فهي في اشتغال دائم وإن كان لا يدرك ذلك.

1.5.2- التحليل بالإطار:

حاز هذا المفهوم شهرة كبيرة، وتداولا منتشرا في ميدان علم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي، فهو تنظيم للمعرفة الإنسانية، فالإنسان عندما يواجه سلوكات أو أحداث، فإنه يستمد من مخزون ذاكرته أحد أجزاء البنية لتأويل ما وقع أو ما يريده.[1]

ويتكون الإطار من عقد، وروابط، وشغالين، وسنتعرض إلى مفاهيمها بتحليل الاستعارة التالية:

- «عملنا على ... تجاوز مأساة رهيبة».[2]

أ- العقدة: هو العقدة العليا التي تتولّد عنها عقد صغرى، وهي فضاءات فارغة، يتم ملؤها ببعض البنيات أو التعابير التي تدعى بالمالئة، وبعض هذه التعابير قد يتشعب إلى عقد جديدة على أن بعضها قد يتوقف.[3]

وبهذا فإن العقدة في البنية الاستعارية أعلاه هي "المأساة" والتي تتفرّع عنها عقد صغرى هي "القتل"، التخريب، العنف والدمار".

ب- الروابط: يشير إلى العلاقة بين الإطار الأم والأطر الفرعية (أو العقد الفرعية)[4] بحيث نجد أن المأساة الرهيبة من قتل، وتخريب، ودمار تتحقق في جوانب متعددة:

- مأساة اجتماعية => قتل، عنف، خوف، رعب.
- مأساة اقتصادية => تخريب المنشآت، ركود اقتصادي...
- مأساة سياسية => أزمات على المستوى الديبلوماسي، تراجع في المحافل الدولية ...

1- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص68.

2- الملحق 2.

3- ينظر: المرجع السابق، ص68.

4- المرجع نفسه، ص69.

وبالنظر إلى العلاقة الموجودة بين هذه المآسي، فإنه يتطلب العمل المستمر لتجاوزها نظرا لانعكاساتها السلبية على المجتمع، وبهذا فإن المتلقي قد «يلجأ إلى هذه الأطر الفرعية، عندما يحس بأن فهمه وتأويله قد تعطل، نتيجة للفراغات والالتباسات، لهذا ينبغي أن تملأ كي يصل إلى تأويل معين، كما يمكن للمتلقي أن يضيف بعض الشغالين لتنشيط الإطار».[1]

ج) الشغالون: هي الآلية التي تقوم بدور الربط بين العقد وتنشيطها حينما تدعو الحاجة حيث تتعلق بعملية الاستدلال.[2]

فنتحصل على:

- الوضع: - الاستقرار والإطمئنان (قبلا).

- وجود جهتين متضادتين، مما يحقق الصراع.

- زمن الاشتغال: - حدوث الاختلال وعدم الاستقرار، مما يشكل المأساة (قتل، تخريب عنف...)

- شكل الأداء: - تكثيف الجهود لمحاربة كل أشكال المأساة، والإطاحة بالجهة المتسببة لذلك.

- النتيجة: - حدوث تجاوز هذه المأساة.

وبهذا الإعتبار، فإن مفهوم الإطار «لا يتعلق فقط بمتوالية جمل في الخطاب وإنما يتعلق كذلك بمجموعة من القضايا التي تتعلق بمقتضيات الأحوال، والمقامات، وتفاعل مختلف التجارب مما يفضي إلى إبراز خصوصية وقصدية التواصل».[3]

2.5.2- التحليل المدوني:

تتعلق المدونة بالفهم المؤسس على التوقع، فتقدم معلومات أكثر، وتحافظ على تراتبية الأحداث وتتابعها مما ينتج عملية الاستدلال،[4] التي يعتمدها المحلّل لمحاولة فهم

1- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 75.

2- المرجع نفسه، ص 133.

3- فان ديك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، (د.ط)، أفريقيا الشرق، 2000، ص221.

4- ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ص70.

تصوّر معين، لأن المدونة «وضعت أساسا للتعامل مع متواليات الأحداث التي تصف وضعية ما».[1]

إن تحليل البنية الاستعارية التالية: [عودة السلم إلى الوطن].[2] وفق مفهوم المدونة يجعلنا نتبنى الخطاطة التي وضعها كل من "جرح لايكوف ومارك جونسون" في كتابهما "الاستعارات التي يحيا بها"، فنجد:

1) **مشاركون:** يمثلون دور الخصمين، يسعى الخصم الأول إلى عرقلة النظام بزرع الفتنة ليحدث تغييب السلم، فيسعى الخصم الثاني (الدولة) باسترجاع التوازن، وعليه يكون:

- الخصم الأول: + خرق التوازن، + قتل، + تخريب.
- الخصم الثاني: + استرجاع التوازن، + تشييد.

2) **المراحل:** تبني استراتيجية خاصة من الجانبين: الهجوم، العمليات المضادة، تضييق الخناق...

3) **المواقع:** للخصمين المشاركين مواقع مختلفة، يحاول كل منهما الإطاحة بالآخر ويتولى كل مشارك الدفاع عن موقعه:

- الخصم الأول: +زرع الفتن، +القتل، +التخريب، +الرعب = تغييب السلم.
- الخصم الثاني: +القضاء على الرعب، والفتن، والمحافظة على المنشآت وكل مظاهر تماسك المجتمع = محاولة العودة بالسلم.

4) **البداية:** يسعى الخصم الأول بتطبيق أهدافه، فيشن هجومات (مفاجئة)، فيلقى ردا من طرف الخصم الثاني الذي يحاول خنق الهجومات لاسترجاع التوازن، وهو أمر مرهون بالبحث العقلي أولا، إذ أن التحرك يتطلب خطة متقدمة للتعرف على مواقع الخصم للعودة بالسلم.

وحسب هذه الاستعارة فإن "السلم" قد تحرك من موقع لآخر، وعبر مراحل مختلفة بتطبيق استراتيجية "احتواء الخصم"، مما مكّن بالعودة بالسلم المفقود آنفا.

5) النهاية: عرقلة مساعي الخصم الأول، وتعطيل خططه، والقضاء على كل مظاهر اللاسلم، ومنه "العودة بالسلم مجددا".

1- محمد خطابي، لسانيات النص، ص65.

2- الملحق 1.

ومن آثار هذه الاستعارة أنها تحوّل "السلم " إلى شخص فاعل، يعمل على تحقيق الأرباح وتقليص الخسائر للدولة والشعب، حيث نجد أن:

- السلم: الرفاهية، الثروة، التقدم ...
- اللاسلم: الرعب، الضعف، والركود...

وبهذا، فإن تحليل المفهوم الاستعاري ضمن بنية شاملة، يبرز مكوّناتها المتعددة حتى يمكن إيجاد علاقة بينهما وبين المفاهيم الأخرى. إن النظر إلى الاستعارة "عودة السلم"، نجدها تتفاعل مع مختلف الوقائع الخارجية مما ينتج: عودة الأمن، عودة الرفاهية عودة التطور الاقتصادي، والاجتماعي، عودة الاستثمار...الخ، مما يخلق انسجاما بين مختلف مكوّنات أجزاء الخطاب.

ومن جهة أخرى يقودنا هذا التحليل إلى اعتبار أن الاستعارة «تكشف لنا الكثير عن بنية الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والخلفيات الفكرية، والتصورية التي توجّه رؤيتنا للأشياء».[1]

وبهذا تكون الاستعارة «مفهوما ذو قوة معرفية يؤسسها الخطاب، لأنها جزء من بنية تصورية تحدد طبيعة العلاقة بين الفرد، وعالمه، وتحدّد طبيعة الفكر الذي يجعل نوعية الاستعارة تختلف من ثقافة إلى أخرى، كما تؤسس الخطاب، لأن الآلية التي تحكم تكوُّن اللغة، ونموها، وتشعبها، وتناسلها آلية استعارية».[2]

3.5.2- الخطاطة

اعتبرت الخطاطات بنيات معرفية تضم توجيهات تهيء المجرب لتأويل تجربة ما بطريقة ثابتة، وكمثال على ذلك الأحكام العنصرية المسبقة التي يصدرها جنس بشري معين على جنس آخر بناء على خطاطة موجودة سلفا، ومثاله صورة العربي التي تشكلت لدى الأمريكيين، فمن ضمن مكوناته أن العربي إنسان جاهل، همجي كسول، ويقترح "يول وبراون" النظر إلى الخطاطات كمعرفة خلفية منظمة تقودنا إلى توقع (أو التنبؤ بـــ) مظاهر في تأويلنا للخطاب.[3]

1- عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص95.

2- سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص295.

3- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص67، 68.

إن الخلفيات الثقافية المختلفة يمكن أن تنتج خطاطات مختلفة من أجل وصف الأحداث المشاهدة في الاستعارة.[1] فالخطاطة التي تعتبر أن "تطهير مؤسساتنا المالية والشروع في تحديثها"، وضعية يتم فيها استعمال كل الوسائل القانونية لغرض تحقيق التطور، والرفاهية قد لا نجدها في خطاطة أخرى، فهي يمكن أن تتبنى قاعدة أخرى تقرُ بضرورة خوصصة البنوك المالية مثلا مقابل تبعيتها لقطاع الدولة.

ولتوضيح مفهوم الخطاطة سنحلل بعض الاستعارات ثم نحاول ايجاد الخطاطة المشتركة بينهما بالاعتماد على ما قدمه سعيد الحنصالي في تحليله لنموذج الخطاطة.[2]

المجال	الاستعارة	الحالة الأصلية	تصميم الحل	الحصيلة
الديني	-«نتابع فقه الاجتهاد».[3]	**- الهدف:** الاجتهاد الديني من أجل تقديم الحلول حول مسائل متعلقة بالمجتمع. **- الموارد:** القرآن الكريم والسنة النبوية.	- اصدار فتاوى اجتهادية، تشكّل التصدي لمظاهر الفتن والمفاسد.	تحريم كل مظاهر العنف ضد المجتمع وضد الدولة.
العسكري	«إن تصميم قوات الأمن [...] ستهزم الإرهاب».[4]	**-الهدف:** قهر الإرهاب. **- الموارد:** وجود أسلحة كافية لتحقيق الغرض. **- القيود:** مباغتات العدو.	- شن هجومات مكثفة، انطلاقا من اتجاهات متعددة لتدمير العدو.	القضاء على كل مظاهر الفتنة في المجتمع.
العمران	«القضاء على أزمة السكن»[5] السكن»[5]	**- الهدف:** استعمال كل الموارد للقضاء على أزمة السكن. **- الموارد:** مادية وبشرية. **- القيود:** نقص الموارد.	- محاصرة أزمة السكن بتشييد المباني والقضاء على شبح الأزمة.	تحقيق نسبة من الإسكان (أقل أو أكثر).

1- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص136.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص139.

3- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص29.

4- ملحق1.

5- الملحق نفسه.

الخطاطة	تقارب الخطاطة	- **الهدف:** استعمال القوة من أجل قهر الغرض. (قوة الدين، قوة السلاح قوة الموارد). - **الموارد:** قوة كافية قصد تحقيق الهدف. - **القيود:** وجود عوائق لتحقيق الغرض.	تطبيق قوة ذات حدة وشدة، عبر طـــرق متعددة تزامنيا: - اصدار الفتاوى. - ترصد العدو. - تشيّيد السكنات.	الهدف محقق بواسطة القوة (بنسب أقل أو أكثر).

وتبعا لهذا التحليل للاستعارات، فإن مفهوم الخطاطة يظهر في كل بنية، حيث يهيء مسبقا تجربة للخوض في التأويل، إذ أن مفهوم الفقه تجربة ثابتة تدل على «معرفة الأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلة»،[1] كما أن المجال العسكري مفهومه ثابت فضلا عن أزمة السكن، وتبعا لهذا فإن «هذه المجالات تبدو متنافرة، وإن علاقات التوافق الوحيدة الممكنة التي تجعل التماثل ممكنا هي التصدي، والتدمير، والقضاء وبالتالي فإنّ القياس يترتب باعتباره استعاريا».[2]

إن العمل الفقهي يسعى إلى محاصرة مظاهر التزييف، والعمل العسكري يسعى لمحاصرة المخربين وتدميرهم، والعمل العمراني من جهته يسعى إلى محاصرة أزمة السكن والقضاء عليها عن طريق البناء، فيعمل الأول بمبادئ الشريعة الإسلامية (القرآن الكريم والسنة النبوية)، والثاني بالسلاح، والثالث بمواد البناء، والأشخاص المؤهلين لذلك فينتج عن ذلك تغيير في البنية الاجتماعية للدولة.

ويرى المحلّلون في ضوء هذا المفهوم أن هناك صعوبات يطرحها هذا النموذج على مستوى التوافقات القياسية، والتي تبدو غير محدّدة تماما وتستلزم تتميما عن طريق التأويل انطلاقا من خريطة موسعة. إذ أن الجدول يدمج توافق الخطاطة، وهو تمثيل لتقارب الحلول الممكنة فقط، فهدف هذه الاستعارات هو استعمال القوة من أجل قهر الغرض المركزي. إنّ الخطاطة إذن تحتفظ بالمشاركات بين المتقايسين في حين تقصي

1- محمد صالح العثيمين، شرح الأصول، ط1، دار العقيدة، القاهرة، 2003، ص14.

2- سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص138.

الاختلافات بينهما، وتبعا لذلك يمكن النظر إليها باعتبارها تشيّد الخطاب من خلال إعادة إنتاجه، وتفسيره، وبناء التمثيلات الذهنية المستمدة من تجاربنا التي تظل في اشتغال دائم ومستمر.[1]

ونخلص إلى أن أهمية التحليل في ضوء مفاهيم العلم المعرفي، يعود كونه يتم ضمن بنية كلية من خلال النظر في مكونات الإنسان ووضعه، وعلاقته بالطبيعة وبغيره من الناس، خلافا للتحليل بالمقوّمات الذي يركز على تفكيك المفهوم في حد ذاته دون الولوج إلى الأبعاد العميقة، والمرام الشاسعة التي تتجلى من السياق الداخلي والخارجي للخطاب، إلا أن الأمر يبقى نسبيا، إذ أن تحليل البنية إلى عناصر يتم عبر الآليات نفسها تقريبا، فالمحلل للمفهوم "المفردة"، يترصد مختلف مقوّماتها، والمفكك للبنية يذكر عناصرها.[2]

ورغم ذلك، فإن السياق حين يتدخل في إطار بنية خطابية معقدة، فإن حضور هذه المفاهيم تكون له قيمته الإجرائية، «فهي تجعل المبدع والمحلل خاضعين لنفس العمليات الذهنية التي تحكمهما معا، كما أن إضافتها إلى مفاهيم أخرى لها قوّتها، ووجاهتها وتساهم في القبض على الدلالة، كمفهوم التشاكل والتباين الذي يندرج في إطار التفسير الدلالي».[3]

6.2- التشاكل والتباين Isotopie / Hétérotopie

يعتبر التشاكل أحد المفاهيم السميائية الجديدة التي أدخلت في تحليل الخطاب المعاصر، كآلية استعارها الباحثون من "غريماس" (A.j. Greimas)، والذي استعاره بدوره من ميدان الحقول العلمية، كالفيزياء والكيمياء إلى ميدان اللسانيات.[4]

وخضع مفهوم التشاكل لتطورات عبر تنقله من ناقد لآخر؛ فعملوا على مناقشته وتمحيصه، ولكنه مع ذلك لم يُرفض، وإنما سلّموا بوجاهته كمفهوم إجرائي لتحليل الخطاب على ضوئه. فإذا كان "غريماس"، قد قصره على تشاكل المضمون والذي يمثل مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية، فإنّ "راستيي" (F. Rastier)، قد عمّمه ليشمل

1- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص140.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص140.

3- ينظر: محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ط1، المكتبة الأدبية، الدار البيضاء، 2000، ص24.

4- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص19.

التعبير، والمضمون معا، وبذلك تتنوع وتتعدد التشاكلات، تبعا لتنوع مكوّنات الخطاب موسعا بذلك المفهوم، وفاتحا له المجال أكثر، بمعنى أن هناك تشاكلا صوتيا، وتشاكلا نبريا، وإيقاعيا، وتشاكلا منطقيا، ومعنويا، ولهذا نجد محمد مفتاح ينعت تحديدات "غريماس"، بالتخصيص والتضييق، وتحديدات "راستيي"، بالتعميم والتوسع، واقفا على مناقشة الرأيين، مستقرا في الأخير على حقيقة أن التشاكل لا يحصل إلا من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة، ومعنى هذا، أنه ينتج عن التباين فالتشاكل والتباين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.[1]

كما اعتبر أن التشاكل هو الآلية التي يحصل بها الفهم الموّحد للنص، وهو الضامن لانسجام أجزائه وارتباط أقواله، إذ يتولد عنه تراكم تعبيري، ومضموني تحتمه طبيعة اللغة والكلام، مما يبعد الغموض والإبهام في بعض النصوص التي تحتمل قراءات متعددة.[2]

رأى محمد مفتاح، أن تشاكل المعنى الذي عبّر عنه "غريماس" بالمقولات المعنوية والذي أخذ به أصحاب اتجاه "التحليل بالمقوّمات"، يبقى قاصرا كونه لا يشمل إلا التشاكل المعنوي، في حين أن التشاكل موجود وملاصق لكل تركيب لغوي، وهذا التصنيف في التعريف هو الذي حذا بـــ "راستيي" أن يحدد التشاكل، بأنه كل تكرار لوحدة لغوية مهما كانت، وهذا التحديد يضيف عناصر أخرى لما جاء به "غريماس" وهي أن التشاكل يحصل من تعدد الوحدات اللغوية المختلفة، أي أنه ينتج عن التباين وهو ما يوسّع المجال التشاكلي.[3]

إن مفهوم التشاكل عند محمد مفتاح يقدم في هذا السياق إطارا وصفيا لاستخراج بواطن النص، وقراءته قراءات متعدّدة، فهو يقوم على تحليل "ثوابت لغوية وانتروبولوجية" بهدف الحصول على معلومات حول الخصائص العميقة لحقل مفهومي معين في الاستعمال اللغوي، ولاثبات الاختلاف، والتماثل بين الثقافات، وللبحث عن

1- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص20-22.

2- المرجع نفسه، ص91.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص19، 20.

البنيات المعرفية الكامنة خلف الأنساق المعجمية لمجتمع معين، ولإثبات انسجام رسالة النص.[1]

ويمتاز هذا المفهوم بخاصية التحليل بالمقوّمات الذاتية، والمقوّمات السياقية مما يجعله يجمع بين التحليل المفردي، والتحليل الجملي، والتحليل النصي، ويتجاوز المعاني الظاهرة في النص إلى إيحاءاته الكاشفة عن التصور الأنطولوجي والمعرفي، والعاطفي للإنسان وعن حاجاته، وآليات إشباعها عبر المتخيل والمعقلن.[2]

غير أن التحليل بالمقوّمات الذاتية لا يتحقق إلا في قدر ضئيل من الكلمات المالئة ولذلك يرى محمد مفتاح أن المقوّمات السياقية، والتفاعلية هي التي يجب أن توّظف فيه لأن كثيرا من المقوّمات يضيفها القارئ من عنده بناء على المساق المقالي والسياق العام ومعرفته الخلفية، وتجاربه الذاتية،[3] مما يجعله يرتبط بالمعرفة الموسوعية التي تمكّننا من تجاوز صعوبات التحليل، أين لا تكون المقوّمات ظاهرة مدركة، فتسمح لنا هذه المعرفة بتشييد مقوّمات سياقية كفيلة بالتأليف بين قلوب المفردات المتنافرة، مما يجعلنا نتجاوز معناها المعجمي إلى إيحاءاتها المختزنة في موسوعتنا فنسحب منها ما نصرفه لقضاء تحليلنا.[4]

وتنبه "راستيي" إلى ذلك ، بحيث رأى أن تكرار المقوّمات المعطاة سلفا ليس هو ما يؤسّس التشاكل بل على العكس إنه افتراض أو حدس التشاكل هو الذي يسمح بتعيّين المقوّمات.[5]

ويتلخص المبدأ الذي يمكن استنتاجه في هذا السياق، إلى أن التشاكل هو نتاج عمليات حدس وتأويل، ويظل مرتبطا باستراتيجيتها، وبالتالي فإن وصف التشاكل مشروط بالقدرة التأويلية التي تحكمها وتوجهها موسوعة القارئ، وهو ما يؤكده من جهته "سعيد بن كراد"، إذ يرى أن الذي يشكل التشاكل، ليس تواتر المعانم (Sèmes) الموضوعة للتداول بل افتراض تناظر ما يقودنا إلى تعيين بعض المعانم، إن لم نقل كلها، ويمكن التأكد من

1- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، ط1، المركز الثقافي العربي، 1996، ص132.

2- محمد مفتاح، التلقي والتأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، 1994، ص159.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص162.

4- ينظر: محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، ص133، 134.

5- ينظر: سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص144.

هذا الأمر من خلال الوقائع المحسوسة، بحيث نلجأ إلى تجربتنا الذاتية في عملية التأويل وبهذا نصل إلى أن المعنى حتى ولو تعلق بأدنى المستويات الدلالية، هو نتاج عمليات تأويلية محكومة باستراتيجية.[1]

وهكذا نستخلص من هذا العرض أن للتشاكل نسختين:

1) نسخة خاصة بالدلالة المقوّماتية، وترتكز مسلماتها الأساسية على شمولية المقوّمات (أي مقوّمات مبنية بدون علاقة مع المرجع)، وعلى انتمائها إلى جوهر المحتوى بالإضافة إلى نهائية عددها، وطبيعتها الأولية، باعتبارها أنها تعتمد على دلالة القاموس دون التركيز على السياق العام.

2) نسخة نصية تمثل النموذج المرتبط بدلالة تأويلية، كما حددها راستيي، فهو يعبر مستوى التعبير كما يعبر مستوى المحتوى، وفي هذه الحالة تلعب قدرات المتلقي المعرفية دورا مهما في عملية التأويل.[2]

واستئناسا بروح هذين المبدأين، سنحاول أن نحلّل بعض الاستعارات الواردة في الخطاب السياسي عن طريق التحليل بالمقوّمات، ثم نحاول البحث عن الإيحاءات المختزنة في الموسوعة الثقافية، والاجتماعية للخطاب، باعتبار أن هذه الاستعارات هي وليدة المنظومة الاجتماعية، وذلك للتدليل على المسألة التي يشير إليها "راستيي" والمتعلقة بالانسجام، وهو مفهوم يفرض نفسه كقاسم مشترك بين مجموعة من السميائيين الذين عرّفوا التشاكل بأنه القراءة المنسجمة لنص ما.[3]

إنّ الكلمات تكون محملة بعدد من السمات التي تخصصها، وبالتالي لا تتخلص من كثافتها إلا عندما تندرج في سياق تركيبي معين، حيث تبدأ عملية التكيف التي ينتج عنها انسجام الجملة أو تشاكلها، وبهذا يذهب عبد الإله سليم إلى أن تشاكل الجملة يتحقق بواسطة تخلص الكلمة من سماتها المتعددة وتنشيط السياق للسمات المنسجمة مع سمات الكلمة المجاورة.[4]

1- ينظر: سعيد بن كراد، السميائيات والتأويل، ص160.

2- سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص178.

3- ينظر: رشيد الإدريسي، سمياء التأويل، ص3.

4- عبد الإله سليم، بنيات المشابهات في اللغة العربية، ص90.

إن كلمة "بذور" متعددة السمات فهي (+ نبات) و(+مصدر خير) و(+مصدر بقاء: "النسل")، وعندما تتحيّز هذه الكلمة في التركيب، يتقلص التراكم السمي. كما نجده في البنية الاستعارية التالية:

- [يجب وقاية شعبنا من بذور الحقد والضغينة][1] حيث يتم تنشيط السمات:

(+مصدر أذى وضرر)، (+ زرع الفتن)، (+ ديمومة الأذى بالدرجة الأولى)، بينما يتم إضمار الباقي، وتغييب السمات الأخرى، مع المحافظة على السمة الجوهرية وهي (+النسل)، كما جاء في "لسان العرب": «البذر والبذارة = النسل».[2]

إنّ الاسم "بذور" في البنية أعلاه مخصص لتحديد معنى (+استمرار الشر)، حيث تغدو عملية بناء الدلالة مفروضة بالسياق الذي يتحدد في البنية تبعا لاستمرار تنامي أعمال الشر والتخريب وهو ما يؤكد سمة "الديمومة"، مما يؤدي إلى تقليص الإلتباس باللجوء إلى التجربة الفعلية والعمل على نشرها ضمن سياقات مختلفة من اجتماعية وثقافية، ونفسية، وتداولية. وبهذا المعنى تكون الموسوعة ضرورية لتدخل القارئ لبناء الدلالة المقصودة.

إن تكرار السمة الجوهرية (+الديمومة والإستمرارية) في عنصري الجملة، يؤسس التشاكل استنادا إلى سياق الخطاب؛ بحيث يدعو إلى ضرورة التخلص من هذه السمة الجوهرية لتحقيق الاستقرار.

- البذور = المحافظة على السلالة (نبات/ إنسان)
- بذور الحقد = تواتر سمة الحقد (لدى الإنسان)

والملاحظ في البنية التالية "ستحشد الدولة مزيدا من الوسائل"،[3] أن التشاكل يتحقق بطريقتين:

1) ملاحظة تكرار السمة (+إنسان) التي هي جنسية ملازمة في الفعل "حشد"، وعرضية في الاسم "الدولة"، أي عندما ننطلق من تأويل "الدولة"، باعتبارها تحيل على الأشخاص الحاكمين.

1- ملحق3.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، (مادة: بذر).

3- الملحق السابق.

2) ملاحظة تكرار السمة (+القوة) التي هي جنسية ملازمة للاسم (الدولة)، كما هي في الفعل "حشد"، أي عندما ننطلق من تأويل "الدولة" باعتبارها "قوة: اقتصادية، اجتماعية وعسكرية". وجاء في "لسان العرب": «الدولة =الحقبة في المال، والانتقال من حال الشدة إلى الرخاء».[1] وهو ما يؤكد سمة "القوة" الملازمة للدولة. في حين نجد سمة "القوة" في الفعل "حشد"، خاصة إذا تعلق الأمر بحشد من الجيش.

ومن هنا «يتضح أن الاستعارة تقوم بإعادة تنظيم السمات، إذ تتخلى عن بعض سماتها وتكتسب سمات أخرى، بفعل دخولها في علاقات تركيبية معينة»،[2] فالدولة قد تخلت عن السمة (+ إقليم)، (+ هياكل)، ... واكتسبت السمة (+إنسان)، لأنها أسندت إلى الفعل "حشد" الذي يرتبط بالجيش.

وتظهر فاعلية الاستعارات في إعادة تنظيم السمات، بصورة أكثر وضوحا وربّما أكثر تعقيدا من خلال البنية " تكالب الإرهاب"،[3] بحيث يحافظ المصدر "تكالب" على السمة الجنسية (+حيوان)، أما السمة الجنسية الملازمة لــ "الإرهاب" وهي (+إنسان) فإنها تضمر، وتنشط مكانها سمة أخرى هي (+ حيوان)، وذلك انطلاقا من الأعمال المرتكبة في الواقع (القتل، العنف، الشراسة)، والتي تبعد سمة (+إنسان) وتنشط بدلها سمات "الحيوان". ليصبح التمثيل السمي كما يلي:

تكالب ⟵	الإرهاب	
+ حيوان	+ حيوان	
+ حي	+ حي	= تشاكل جزئي.
+ نكرة	+ نكرة	
+ غير عاقل	+ غير عاقل	

وميّز "راستيي" بين السمات في المعجم والسمات في السياق، لذلك فإنّ سمة جنسية مثلا، يمكن أن يحوّلها السياق إلى سمة خاصة، كما يمكن لسمة ملازمة أن تتحول

1- ابن منظور، لسان العرب، ج11، (مادة: دول).

2- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص90.

3- ملحق 3.

إلى عرضية، ولهذا تتحول السمة الجنسية (+إنسان)، وهي سمة ملازمة (جوهرية) إلى سمة عرضية تحدّدها معطيات اجتماعية وثقافية، فتصبح السمة (+حيوان) هي السمة الجنسية الجوهرية، ويقتضي التأويل السياقي حذف السمة (+إنسان) من قراءة الاستعارة (تكالب الإرهاب). وبالتالي تظهر العلاقة الاستعارية بين التأويل السياقي والقراءة المعجمية انطلاقا من البعد الاجتماعي للخطاب الذي يفترض حضوره.[1]

ويمكن تصور النسق العام للسمات كالتالي:[2]

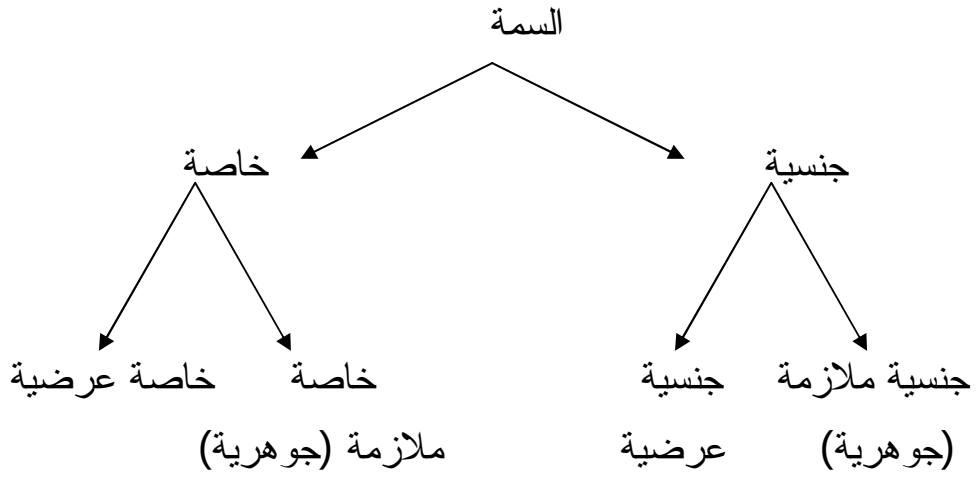

الشكل: نسق السمات العام.

ويطلق على هذا النوع من التشاكلات بالتشاكل الجزئي؛ حيث أقام البنية الدلالية وحدّد مستوى من المعنى، باعتبار أن إضمار السمة (+إنسان) من الإرهاب كما سبقت الإشارة، تأتي مصاحبة للأعمال المرتكبة في الواقع (العنف، التخريب، التدمير).

إن الاستعارة هنا«تحذف تفصيلات، وتجعل أخرى مكانها، وبكلمة أخرى تنظّم مفهومنا».[3] إننا عندما نسمع بنية "تكالب" نفهم أنه يريد بطريقة ما الإحالة إلى حالة عدم التعقل، والخطر، واللاوعي.

1- ينظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص91.

2- المرجع نفسه، ص92.

3- ينظر: رشيد الإدريسي، سمياء التأويل، ص61.

غير أن فكرة "التكالب" تحمل في طياتها معالم زوالها وهي دلالة منافية لظاهر الجملة التي تدل على الخطر الحاد الذي يتربص بنا. إن "التكالب" حالة غير طبيعية ترتبط بمفهوم "الكلب المسعور" الذي أصيب بمرض "الكلب" أو "السعار"، وهو مرض يحوّل الحيوان من حالة الحيوان الطبيعية إلى حالة مرضية غير طبيعية يقوم فيها بمهاجمة الإنسان وكل ما يقع عليه في محيطه، لكن سرعان ما يموت هذا الحيوان جراء مرضه وهي ما تؤكده تجاربنا مع الواقع، وبالتالي الانتقال من حالة اللااستقرار "إلى حالة" الاستقرار "باندثار الإرهاب.

ومن التشاكلات الجزئية أيضا نجد الاستعارة التالية "تفتُح شبابنا"،[1] حيث يتعيّن وجود السمة الجنسية (+ورد [نبات]) في الاسم "الشباب"، في حين يحافظ المصدر "تفتح" بدوره على السمة الجنسية (+ورد [نبات]) باعتبار أن مرحلة الشباب دلالة على الفتوة والطراوة، كما تمثل بداية لمسار الحياة، وهو ما تتضمنه دلالة "الورد". فيمكن التمثيل السمي كما يلي:

+ ورد	ــــــــ تفتح ــــــــ ــــــــ الشباب ــــــــ	+ فتوة + طراوة + بداية الحياة

انطلاقا من هذا التحليل، يمكننا أن نستنتج أن التشاكل في الاستعارة يتحقق عبر مستويين:[2]

1- مستوى نلاحظ فيه تكرار السّمات المسوّغة للاستعارة والضامنة للتشاكل الكلي، إذ يتم الانتقال من سمة إلى أخرى. كما في المثال "ستحشد الدولة مزيدا من الوسائل".

2- مستوى نلاحظ فيه تكرار السمات التي تدخل طرفي الاستعارة في طبقة واحدة ويتحقق التشاكل في هذا المستوى جزئيا. كما في البنيتين "تكالب الإرهاب"، و"تفتح الشباب".

1- ملحق 3.

2- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص96.

ويضيف محمد مفتاح في تحليله للخطاب الشعري، مستوى ثالث، وهو المستوى المعنوي حيث يرد تشاكلات دلالية معنوية[1]. وهو ما سنأخذ به في تحليلنا التالي.[2]

يتضمن الخطاب مجموعة من القضايا المتحققة أو المراد تحقيقها، وهي مختلفة ومتعدّدة تبعا لتعدد مجالات الحياة من اقتصادية، وسياسية، وإجتماعية، ولهذا قد يبدو للوهلة الأولى أنه ليس هناك ثمة انسجام، إلا أن تتبع التشاكلات المعنوية الواردة فيه يجعل من النص (الخطاب) منسجما، وهو ما يؤكد فرضية أن التشاكل هو القراءة المنسجمة.

1- تشاكل الفتنة والاستقرار / تشاكل السلم والاستقرار

يحقق الخطاب عبر مساره تشاكلات معنوية لمفهوم اللااستقرار وقد عبرت عنه كل الاستعارات التي جسّدت الأزمة والإنكسار، وكل مظاهر التفكك، وبؤر التوتر منها:

- «... خرجت من تلك الأزمة النكراء التي كادت أن تعصف بأركان دولتنا».
- «... غياب الأمن وانتشار التخريب».
- «الويلات الفظيعة التي سلطها الإرهاب على الساكنة».
- «أوصلت تلك المأساة اقتصادنا إلى إفلاس».
- «تلاشى نسيجنا الاجتماعي».

إن التشاكل المعنوي المعبر عن الهلاك والألم موجود في كل بنية استعارية فالأزمة المتمثلة في:

[+غياب الأمن انتشار التخريب + الويلات + المأساة + التلاشي...]، تشكل فضاء للتوتر نرصده على مستوى الواقع، ويتحقق بالفعل المجسد.

إن هذه التشاكلات لا تحمل تصور الدولة، فـ «الدولة هي تنظيم عشيرة»،[3] وهي التي تجعل من «الفعل البشري فعلا معقولا»،[4] لهذا نراها تقدم نفسها باعتبارها المحققة للاستقرار والأمن، والمشيّدة للمباني، والمؤسسات، وبالتالي تشد لحمة الشعب وهو ما

1- انظر القسم الثاني من كتاب محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري.

2- ملحق3.

3- بول ريكور، من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة، حسان بورقية، ط1، دار الأمان، الرباط، 2004، ص277.

4- المرجع نفسه، ص277.

يشكل تباينا مع التشاكلات السابقة التي تحقق مختلف الأزمات، وبالتالي الخروج عن الاطار العام للدولة.

إن الدولة تتبنى المساعي التي تحقق السلم والأمن، لهذا يمكن أن نتحصل على تشاكلات تمثّل وجه الدولة باعتبارها تعمل على:[1]

- استعادة السلم الاجتماعي والأمن.
- استعادة السلم المدني ... حتى نقضى على بؤر التوتر.
- لن نستسلم أمام الذين يتمسكون بنهج الإرهاب والخراب.
- ... المصالحة الوطنية ... أعادت بذلك الوئام إلى القلوب

إن الفيض المعنوي الضامن للتشاكل واضح في هذه الاستعارات، فهناك "السلم +الوئام، +عدم الاستسلام)، والتي أدت إلى إعادة السلم، والاستقرار، وهو ما يمنح الخصوصية الجوهرية للدولة، ولذلك عند العودة إلى خارج النص نتحقق من مرجعية هذه التشاكلات، فنتوصل إلى:

-**الفتنة:** أعمال العنف، والتخريب، والقتل، وصاغها الإرهاب.

-**الأمن:** القضاء على العنف، ونشر السلم، والهدوء، وصاغتها الدولة.

وبهذا يؤدي كل من التشاكل والتباين وظيفة أخرى، تسهل من الوصول إلى الأهداف الاستراتيجية، وهو تعزيز شرعية الدولة، حيث أن الفتنة هي حالة اللاستقرار تتطلب وظيفة المقاومة لغرض استرجاع السلم، وهو ما يسوّغ للدولة أحقيتها في رد الفعل.

2) تشاكل القوة / الضعف

إنّ تعزيز الأمن والاستقرار، واخماد الإضطرابات في البيئة الاجتماعية والسياسية، يؤدي إلى تبيان «وجه آخر للدولة بوصفها قوة».[2] فهي التي تمتص مظاهر الفتن وتقيم بدلها الأمن والدعة، وتحققة دلالة الاستعارات التالية:

1- ملحق1.

2- ينظر: بول ريكور، من الفعل إلى القول، ص279.

الاستعارات	القوة	الضعف
نركز جهودنا على تسيير البلاد	الجهود: قوة تسيير: قوة	عدم تسيير البلاد: ضعف
نقضي على بؤر التوتر	القضاء: بالقوة	التوتر: ضعف
لن نستسلم أما الذين يتمسكون بنهج الخراب	عدم الاستسلام: قوة	الخراب: ضعف

يتبين من خلال هذه التشاكلات، أن القوة التي تفرض الاستقرار تقابل الضعف الذي يزعزع الأمن، مما يجعل القوة تسيطر على الوضع فنتحصل على ما يلي:

- تشاكل القوة = الجهد ، القضاء، عدم الاستسلام.
- تشاكل الضعف= عدم القدرة على تسيير البلاد، التوتر، الخراب.

ويمكن أن يتفرع منها تشاكل آخر، هو تشاكل البناء مقابل/ الهدم

ننتقل في هذه الاستعارات من بناء الدلالات إلى بناء الواقع، انطلاقا من تحاور المتلقي مع السياق الاجتماعي، والايديولوجي للخطاب، حيث يعد مفهوم البناء من المفاهيم الخصبة التي يستند عليها الخطاب السياسي، وتلعب فيه الاستعارات دورا دالا في النموذج التصوري للبناء، بحيث يقدم الخطاب سلسلة من الاستعارات تحمل وظيفة البناء مقابل الهدم:

الاستعارة	التشاكل
نركز جهودنا على تشييد البلاد	- التشييّد: قوة
إعطاء دفع جديد للنمو	- النمو: هدم للركود
ترقية الاستثمار	- الترقية: بناء الاقتصاد
امتصاص أزمة السكن	- هدم أزمة السكن بالبناء
خفض المديونية	- هدم الديون يؤدي إلى بناء الاقتصاد

3) تشاكل التقدم / التأخر

لزم هذا التشاكل عن التشاكل المعنوي المعبر فيه عن الاستقرار، وتكثيف الجهود بالبناء والتشييد، لينتهى الأمر بالتسطير لمفهوم التقدم مقابل التأخر والركود.

الاستعارة	التشاكل
- تحقيق نسبة عالية من الإكتفاء. - ... حققت وثبة كبيرة. - إن انجاز السنوات العشر الأخيرة تبعث في نفوسنا الأمل.	- إزالة الدولة لكل مسببات التأخر (عدم تحقيق الإكتفاء، عدم تحقيق انجازات...)، ونشر كل مسبّبات التقدم (والاكتفاء).

ويتبين لنا جليا، أن التشاكل عامل من عوامل انسجام الخطاب، وهو لا يخلو منه الخطاب السياسي، كما أنه لم يعد محصورا في تكرار المقوّمات السياقية؛ بل يشمل كل الوحدات الدلالية، التي تبدو ملائمة للمحلّل.

3) تظفير الخطابين الديني والسياسي:

سنثبت في هذا العنصر أن الاستعارات الموظفة في الخطاب السياسي، ترتكز مفاهيمها على قوة الخطاب الديني، الذي يمثل قوة السلطة الحقيقية، هذه السلطة التي استمرت زمنا طويلا، لهذا اعتمد عليها الخطاب السياسي فهي تشير إلى القوة الاجتماعية والسياسية باعتبارها نابعة من نصوص الشريعة الإسلامية، وهي النص القرآني، والنص النبوي، كما أن التجارب الماضية في تطبيق الدين الإسلامي من الحياة الإنسانية كفترة الخلفاء الراشيدين، أثبتت دور الدين الإسلامي في تماسك الدولة والقضاء على مظاهر الفتن. فـــ«إن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية».[1]

أثبتت التجارب أن للنصوص الدينية دورا أساسيا في وضع السلطات الاجتماعية والسياسية، إذ أنها تمارس دورا دفاعيا في حالة الخروج عن السلطة (السلطة السياسية والاجتماعية). إنّ بنية الخطاب الإسلامي تعتمد على الحقيقة الإلهية ولذا فإنّ هذه النصوص صحيحة في ذاتها لا يجوز مخالفتها، كما أن أي محاولة لتعطيل أحكام هذه النصوص والخروج عنها يعتبر بعدا عن طريق الدين، لذا يجوز ضرورة وضع الحد

1- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص125.

والوقوف ضد من يتعدى على الدين.[1] فتظل كلمة الدين «تشير إلى طريقة الحياة التي يعيشها الناس فعلا».[2]

انطلاقا من هذه الأطروحات التي تشكل مفهوم الدين الاسلامي، فإنها تفرد الوجهة إلى محاربة كل أشكال العنف والتنافس، وكل مظاهر الفساد، وهو ما يخدم الدولة والخطاب السياسي بصفة عامة، إذ أن الهدف يكون تحقيق التنمية، والسعي للقضاء على الفتن، والتي يتكفل بها الخطاب الديني، فـــ«الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء».[3]

وبالإضافة إلى هذه الأطروحات التي تسيطر على الخطاب الإسلامي عموما فإنّ النظر إلى نسقه التصوري، يضيء لنا جانبا مهما، حيث نجد أنه يتكئ على مجموعة من الاستعارات الأساسية التي تمثل بنية تصورية ذهنية لها دورها الأساسي في تشكيل الواقع الاجتماعي والسياسي. فالأفراد يسلّمون مبدئيا أن "الإسلام طريق (أوصراط) مستقيم" «وهو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه»،[4] أي طريق الهداية، وكل من يزغ عن هذا الطريق، وينحرف سيقتفي طريق الكفر والظلالة، لهذا يتعيّن حضور المفاهيم والتصورات الدينية التي تقود إلى هدف السعادة الأبدية، وهو الطريق المستقيم، وتجنب السلوكات والتصرفات التي تبعدنا عن هذا الطريق.

وبهذا يحدّد الخطاب الديني "الآخر" الذي يظلل الناس، ويبعدهم عن الطريق المستقيم ولن يكون هذا "الآخر" سوى صورة لأشكال العنف، والفساد التي تجسد مفهوم الإرتداد عن الدين فيحدث الربط بين "الإرتداد عن الدين وبين جريمة الخيانة الوطنية".[5]

إننا نسلّم أن الدين الاسلامي نورٌ، وأن الإسلام فضاء بلا حدود، وأنه رحمة لهذا نؤمن بكل المبادئ والتصورات التي يستند عليها، وهو ما يفضي إلى تعزيز شرعية

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص98.

2- نصر حامد أبوزيد، النص والسلطة والحقيقة، ط4، المركز الثقافي العربي، 2000، ص15.

3- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص125.

4- الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج1، دار الفكر، لبنان، 1984، ص73.

5- نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، 2000، ص85.

الدولة التي تسير بنا نحو الطريق المستقيم، لأنها تعمل على تطبيق مبادئ الشريعة والعمل على إخماد كل مظاهر الإنحراف عن الطريق المستقيم.

وإن المتتبع للخطاب السياسي يجده مؤثثا بالمفاهيم الدينية، باعتبارها السلطة العليا التي لا يمكن الحياد عنها، وقد تم توظيفها توظيفا سياسيا نفعيا، إذ وضعت قوته التأثيرية في خدمة أغراض سياسية، ويمكن أن نستشف البنية التالية:

-[لاحظت في الأيام الأخيرة أن الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس أغوى ونفث ما يتداوله بسلطة العارفين، أولئك الذين احترفوا تعاطي وترويج الإشاعات].[1]

إنّ ما يشغل المتلقي هنا ما يقوله الخطاب الديني أو ما يعتقد أن يفعله، وكذا التفسير الاجتماعي لذلك الفعل في سياق البنية الموجودة، فالآية القرآنية المتضمنة في الخطاب: ﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾ **[سورة الناس: الآية 05]**، تعني بذلك الشيطان، فكل من يقول مثل هذه الأكاذيب فهو شيطان، لا ينتسب للدين الإسلامي وعليه نقول أن الآية القرآنية المتضمنة في الخطاب «جاءت كرد فعل على فعل اجتماعي غير مرغوب فيه».[2]وبالتالي علينا أن نتجنبه، ونبتعد عنه باعتبار أن الشيطان لا يقول إلا الكذب. ومنه يمكن أن نشغّل الاستعارة المفهومية التالية:

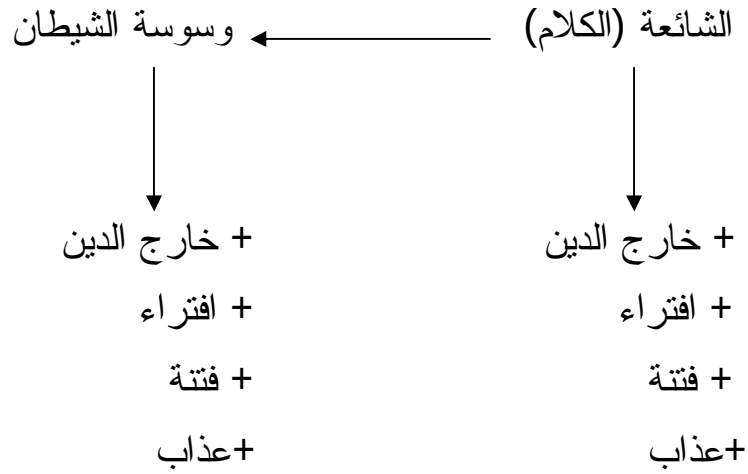

ومن هنا يبدأ تفعيل بعض الاستعارات المفهومية، التي تندرج تحت البنية أعلاه بالمقارنة بين السلطة الشرعية والطرف الآخر المثير للأكاذيب، فنجد أن "الأطراف

1- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص118، 119.

2- عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص110.

الكاذبة" يتحركون إلى النار، لأن الشيطان لا يقود إلا إلى جهنم، و"أطراف الدولة" يتحركون إلى الجنة لأنهم لا يعتدون بالشيطان.[1] ويمكن التمثيل لذلك كما يلي:

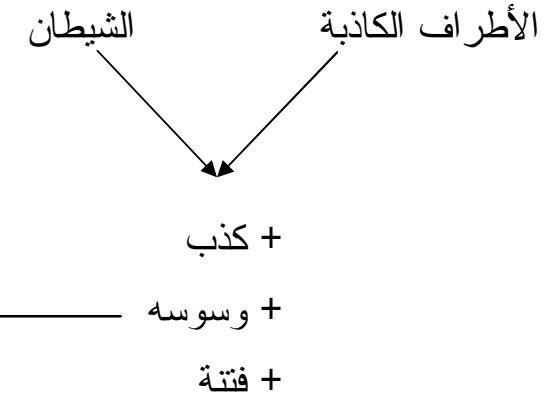

ويتخذ الخطاب السياسي مثل هذا الاستعارات المشكلة لمفهوم الدين كسياق لمخاطبة الجمهور (أو الشعب)، وهو «سياق متعدد في ذاته بين التهدئة، والتثبيت تثبيت الفؤاد بحسب التعبير القرآني، وبين اللوم والعتاب، والتقريع أحيانا».[2]

- التهدئة => ليس هناك ثمة خلاف في الدولة باعتبار أن الكلام شائعة.
- التثبيت => الصدق يؤدي إلى الجنة.
- التهديد واللوم => جزاء الكذب والإفتراء هو جهنم.

إنّ الخطاب السياسي على وعي تام بخطر الـــ«أولئك»،[3] لذا يبدأ في تفعيل بعض الاستعارات الاستراتيجية، في المقارنة بين سلطة الدولة التي تسير على خطى الطريق المستقيم والـــ "أولئك" الذين يقودون إلى الهلاك، فيمكن أن نتحصل على مفهوم [الأقوال (أوالأفعال) تحرك]، بحيث يتم انتقال الكلام (الشائعة) إلى الغير، مما يؤدي إلى تغيرات اجتماعية سلبية فتكون هذه الأفعال تحركا إلى النار، وإن القضاء عليها ينجم عنه تحرك إلى الجنة.

- الأقوال الكاذبة => تحرك إلى النار.
- الأقوال الصادقة => تحرك إلى الجنة.

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص100.

2- نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، ص103.

3- عبد العزيز بوتفليقة خطب ورسائل، ص119.

ومن الآليات الأخرى التي استخدمها الخطاب السياسي في تعامله مع الخطاب الديني استخدام لغة الشهادة" التي هي من باب التصديق"، كما نجدها في قوله: «اللهم اشهد على أنني ما عمدت إلى رياء ولا نفاق»،[1] لأن الشهادة في الدين الإسلامي تقتضي «النطق والإخبار عما في القلب، وأصلها من شهود الشيء أي: حضوره ورؤيته».[2] وهي بذلك تعمل على التأكيد على إيجابية الأعمال التي قام بها الرئيس في إطار خدمة المجتمع. فنتحصل على استعارة" الشهادة أفعالٌ حسنة".

ويمكن التمثيل لذلك بما يلي:

الشهادة ← تصديق → الأفعال	
+ حقيقة	+ ايجابية
+ إقرار	+ مسؤولية
+ إيمان	+ خدمة المجتمع
+الصدق	+الإخلاص

وبهذا تعمل المفاهيم الدينية على تعزيز شرعية الدولة، والحد من مظاهر الفتنة واللااستقرار في المجتمع.

4) حجاجية الاستعارة:

نريد من خلال هذا العنصر، أن نثبت في مدونتنا أنه يلجأ استخدام الاستعارة في الخطاب السياسي كونها «بديلا عمليا لكثير من وسائل الإرغام مثل القوة المادية وبذلك فهي الأداة السلمية التي تضمن التغيير في معتقدات المرسل دون خسران»[3] وثقة من صاحبها بأنها أبلغ من الحقيقة الحجاجية، كما أن الجماهير تتحرك بالصور المجازية ولهذا كان تصنيفها ضمن أدوات السلم الحجاجي، إذ «تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي».[4]

1- عبد العزيز بوتفليقة خطب ورسائل، ص116.

2- ابن تيمية، شرح العقيدة الواسطية، ط2، دار الحكم الدينية، القاهرة، 2003، ص16.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2004، ص459.

4- عمر أوكان، اللغة والخطاب، (د.ط)، أفريقيا الشرق، 2001، ص134.

ويتميز القول الاستعاري عن القول الحرفي في الحجاج، بكونه يؤدي عدة وظائف في عملية التخاطب وعمليتي الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع:

1.4- الوظائف المتعلقة بالمتكلم:

يلجأ مستعمل الاستعارة في القول الحجاجي إلى ترك المجال مفتوحا أمام التأويلات المختلفة للسامع، إذ يساعده ذلك على التهرب من التصريح بموقف صارح وثابت اتجاه قضية معينة مما يجعل المستمع يؤوّلها كيفما شاء.[1]

ومن هذه الاستعارات نجد قوله: «كان من المفروض أن تكون العدالة الحصن الحصين الذي تتحطم عنده كل الإنحرافات، صارت مجرد بيت عنكبوت يتلقف صغار الحشرات ولا يتلقف كبارها».[2]

إن المتلقي يفهم من العبارة أن قطاع "العدالة" لم يعد يطبق مبدأ المساواة بين الأفراد وإنما يكيل بمكيالين، لهذا يمكنه أن يتخيل كل أشكال اللامساواة التي تمارس في هذا القطاع وهو ما يؤدي إلى عدم الاستقرار.

- اللامساواة

+تحايل، انتشار المحسوبية.

+عدم الاستقرار، انتشار الآفات، الركود.

2.4- الوظائف المتعلقة بالسامع (الوظيفة التحريكية) تحريك الخيال:

إن القول المجازي المبني أساسا على التخييل هو الذي يجمع بين معاني الأفكار والتصورات والمفاهيم ويحرك مخيلة السامع، ويسمو به من حقيقة الواقع إلى فضاء الخيال، انطلاقا من عمليات ذهنية تقوم على الفهم والتأويل. وهذه الوظيفة التي تحرك خيال السامع تعمل على استدراجه بشكل غير مباشر إلى حقل المتكلم، وتثير انتباهه لما يقول، وما يريد الوصول إليه، وبالتالي تدمجه في التفاعل الذي ينشده الحجاج.[3]

1- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص122.

2- عبد العزيز بوتفليقة خطب ورسائل، ص119.

3- ينظر: المرجع السابق، ص123.

ونتيجة لهذه الخاصية التي يتميز بها القول الاستعاري، جعل "ميشال ماييير" يولي اهتماما كبيرا للصور المجازية في الحجاج، بحيث جعل منها مكوّنا أساسيا لحصول الإقناع من جهة ولإثارة الأسئلة المنتظرة من جهة أخرى، فهو طريقة تقود الإنسان إلى تحقيق رغباته المختلفة انتصارا لفكرة، أو تعزيزا لمذهبه، أو تأكيدا لأطروحته، إنه ممارسة تخفي وراءها الذات مجموعة من الميولات، والإقتضاءات، والإفتراضات حتى وإن حقّقت وظيفتها الإقناعية أو التمويهية، لذلك يظل الحجاج مرهونا بطبيعة المصالح المشتركة بين الناس وبانتظاراتهم، وانشغالاتهم.[1]

ولتحليل القول الاستعاري في الحجاج وظّف "ميشال ماييير"، مفهومين أساسيين هما: الضمني والمصرح به، فالمصرح به هو ظاهر السؤال في القول، أما الضمني فهو كل الإمكانيات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، وفي هذا الجانب يرتبط الحجاج بالمجاز.[2]

ولقد جعل طه عبد الرحمن بدوره من المجاز مكوّنا رئيسيا في كل قول حجاجي إذ «لا حجاج بغير مجاز».[3]ويبني المعارضية للاستعارة في الحجاج انطلاقا من عدد من الافتراضات وهي:[4]

1) إن القول الاستعاري قول حواري، وحواريته صفة ذاتيه له، وتتضح هذه الحوارية من خلال اشتراك ذوات خطابية متعددة في بناء الكلام، وذلك انطلاقا من مستوى المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، فبإمكاننا أن نخصص لكل مستوى من هذين المستويين مقاما معينا:

إن المعنى الحقيقي ظاهر غير مراد أو هو ظاهر مؤول، في حين أن المعنى المجازي مضمر مراد أو هو مضمر مبلّغ، ومن هنا يجوز لنا أن نميز في المقام الحقيقي بين حال الإظهار وحال التأويل. وفي المقام المجازي بين حال الإضمار وحال التبليغ.

ويترتب على هذا، أن الذوات الخطابية التي تشترك في بناء القول الاستعاري، تتقلب بين هذه الأدوار، قائمة بها في أن واحد.

1- نقلا عن: Michel meyer, question de rhétorique, livre de poche, 1993, P.113.

2- Ibid, P.113.

3- ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص232.

4- المرجع نفسه، ص310، 311.

2) إنّ القول الاستعاري، قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي، حيث يطلق عليه طه عبد الرحمن اسم "التحاج". ويتم ذلك من خلال تدخل آليتي "الإدعاء والتعارض":

- يظهر الإدعاء في الجملة الاستعارية، من خلال إدعاء الذات المظهرة، المعنى الحقيقي للخطاب؛ أي وجود المطابقة بين المستعار منه، والمستعار له، وتكون الوظيفة الحجاجية للذات المؤولة من خلال الاعتراض على وجود المعنى الحقيقي للجملة؛ أي انكار المطابقة بين المستعار له، والمستعار منه، وهكذا يظهر أن المتكلم ذات متعارضة في مرتبة الحقيقة.

- أما على مستوى المعنى المجازي، فإن الذات المؤولة تقتضي منها وظيفتها الحجاجية أن تدعي وجود المعنى المجازي للجملة بادعاء المباينة بين المستعار له والمستعار منه في حين أن الذات المبلغة للمستعير، يقتضى منها دورها الحجاجي أن تعترض على وجود المعنى المجازي للجملة؛ أي أن تنكر المباينة بين المستعار له والمستعار منه.

3) إنّ القول الحجاجي قول عملي، وصفته العملية تلازم ظاهره البياني التخييلي، حيث تحرك همة المستمع إلى الاقتناع، فالمستعير يهدف إلى تغيير المقاييس التي يعتمدها المستمع لتقويم الواقع والسلوك، ويتعرف المستمع على هذا القصد منه.

وبهذا تكمن « فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق، إذ تمثل أبلغ وأقوى الآليات اللغوية».[1]

وأدرج "بيرلمان" بدوره الاستعارة ضمن بلاغة الحجاج، وجعلها مقوّما حجاجيا يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر للمخاطب واستمالته لتغيّير معتقداته وميولاته عن طريق الخطاب الذي يوجهه له أو زيادة تزكية لأفكاره.[2]

وينطلق في تحديد مفهوم الاستعارة، من مفهوم القياس الموروث عن أرسطو، ويجعله عاملا أساسيا في ابداع المشابهة، فيستعمله في الحجاج دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري، بحيث لا يطرح معادلة صورية خالصة ولكنه ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال مغاير، جريا على مبدأ الاستعارة، وهو ما يدفع إلى تحريك الذهن، وابداع الأفكار الجديدة، يقول بيرلمان:

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص496.

2- Chaim perlman, l’empire rhétorique, Librairie Philosophie Vrin, 2002, P.29.

«انطلاقا من القياس: أ هو بالنسبة إلى ب، مثل ج بالنسبة إلى د، وعليه فإن الاستعارة تتخذ إحدى الصيغ التالية: أ هو د، أو ج هو ب، أهو ج، عملا بالقياس إنّ الشيخوخة هي بالنسبة إلى الحياة مثل المساء بالنسبة إلى النهار، وبالتالي يمكننا أن نشتق الاستعارات التالية: "شيخوخة النهار"، " مساء الحياة"، "الشيخوخة مساء».[1]

ومن هذا المنطلق يقر "بيرلمان"، بأن "الاستعارات التي تصاغ على شكل أ هو ج هي الأكثر تضليلا، فقد اعتدنا على اعتبارها تطابقا، في حين أننا لا نستطيع فهمها بشكل مرض إلا بإعادة بناء القياس، وذلك بارجاع العناصر المحذوفة (وهو ما يشكل حجاجية القول الاستعاري). ونلاحظ أن هذا النوع من الاستعارات يمكن أن نعبر عنه بطريقة أشد كثافة، فهي تنتج عن التقابل بين صفة ما والواقع الذي تنتسب إليه هذه الصفة، إننا حينما نكتب عن محارب شجاع: "هذا الأسد ينقض"، فإنه قد أضمرنا بأن هذا المحارب أسد وهذا يمكن توضيحه عن طريق القياس: إن هذا المحارب هو بالنسبة إلى الرجال الآخرين، مثل الأسد بالنسبة للحيوانات الأخرى. وبصفة عامة، إننا نقول عن رجل ما أنه دبٌ، أسد، خنزير أو حمل، نكون بذلك قد وصفنا استعاريا صفته أو سلوكه، أو مكانه بين الرجال الآخرين، انطلاقا من الفكرة التي نشكلها من سلوكه أو مكانه ضمن صنف من عالم الحيوان.[2]

وبهذا يعمل القياس على استدعاء الأفكار، وربط العلاقة بين الموضوع والمحمول (وجه الشبه)، وهو ما يجعل المتلقي يحاول خلق مشابهة جديدة باعتبار أن «الاستعارات تحرّض المخيلة».[3]

ويميّز "بيرلمان" بين الاستعارات الشعرية، والاستعارات العلمية أو الحجاجية التي يميل إلى تسميتها قياسات (ANALOGIE). فإذا كانت الاستعارات الشعرية تميل إلى الغموض، فإن القياسات الحجاجية تميل إلى الإفهام، إذ أن غرضها هو التأثير في المستمع قصد افهامه واقناعه. إن المحامي الذي يرافع أمام هيئة المحكمة ينبغي أن يقنع القضاة

1- Chaim perlman, L’empire rhétorique, P. 132.
2- Ibid, P.132.
3- خورخي لويس بورخيس، صنعة الشعر، تر: صالح علماني، ط1، المدى، 2007، ص60.

الذين يشكلونها، لهذا نراه يستعمل في مرافعته جملة من الاستعارات يهدف بها التأثير فيهم، ومن ثم إقناعهم.[1]

وأشار "لايكوف" و"جونسون" بدورهما إلى الطابع الحجاجي للاستعارة في حديثهما عن الاستعارات البنيوية، حيث يظهر أن كل واحد منا يمارس عملية الحجاج وإبداء الرأي، ويتصور أن هناك شيئا سيربحه أو سيخسره، وأن هناك مساحة يغزوها ومساحة يدافع عنها، وذلك باستعمال كل الوسائل الكلامية المتاحة: التحدي، التهديد والتسلط والشتم، والتلميحات الجارحة.[2]

ومن هذه الاستعارات نجد:[3]

- «تلك الأزمة فضحت بعنف ما آلت إليه سلسة من الأخطاء» (شتم)
- «أولئك ... لم يدخروا أي جهدي لمرافقتي» (إطراء)
-«إن ثورتنا مهما كانت مجيدة، لا تقينا ... من نوائب الدهر» (تهديد).

وخلاصة الأمر أن الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنّها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية.[4]

5) دور الاستعارة في تجسيد مفاهيم الأخلاق والإيديولوجيا

سنسعى في هذا الفصل إلى استكشاف آفاق جديدة، يمكن فيها رؤية تجسد التجارب المجردة وهي الأخلاق، والإيديولوجيا، انطلاقا من فرضية أن الأخلاق والإيديولوجيا تجربتان مجردتان تتجسد من خلال الاسقاط الاستعاري.

سنبرز أن تجسد الأخلاق، والإيديولوجيا يتحقق من خلال الخطاب السياسي، بتحليل بعض المفاهيم الأخلاقية، والإيديولوجية المتضمنة في الاستعارات المفهومية المستخدمة في هذا الخطاب.

1- Chaim perlman, L’empire rhétorique, P.132.

2- ينظر: جرج لايكوف، مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص82.

3- عبد العزيز بوتفليقة خطب ورسائل، ص119.

4- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص497.

1.1.5 - تحليل الجوهر الاستعاري لمفاهيم الأخلاق:

إنّ الدراسات التي تناولت قضية الجوهر الاستعاري لمفاهيم الأخلاق قليلة جدا وربما يعود ذلك إلى أن النظرية المفهومية للاستعارة لم تتغلغل بقوة في الدراسات المتعلقة بالأخلاق، رغم ما أبرزته هذه النظرية من جوهرية الدور الذي تلعبه عملية الاستعارة المفهومية في إعانة الإنسان في فهم العالم المجرد.[1]

أبرز جونسون دور الاستعارة في تشكيل المفاهيم الأخلاقية في كتابة الموسوم بـــ "الخيال الأخلاقي: مستتبعات علم الذهن للأخلاق"، وتمحورت فكرته الرئيسية في أن الإنسان حيوان أخلاقي خيالي أساسا، بمعنى أن الخيال (عن طريق الاستعارة) هو المشكّل الأساسي لمفاهيم الأخلاق، وأن التفكير الأخلاقي يقوم على أعمدة من المفاهيم الاستعارية على مستويين اثنين كما يلي:

1- إن مفاهيمنا الأخلاقية الأكثر أساسية (مثل مفاهيم الإرادة، والحرية، والقانون والحق، والواجب، والرفاهية (السعادة والفعل)، تتحدد استعاريا، ويتم ذلك بوجه الإجمال من خلال اسقاطات استعارية مركبة.

2- إن الطريقة التي نفهم بها موقفا معينا، تستند على استخدامنا لاستعارات مفهومية منتظمة تكوّن الفهم المشترك للأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتنا.

كما تعرض "جونسون" في هذا الكتاب لكثير من جوانب النظرية الغربية للأخلاق وأبرز دور الاستعارة في تشكيل المفاهيم الأخلاقية، واعتمد فيها على استعارة أساسية هي [القوانين الأخلاقية قوانين طبيعية]، حيث تسقط قوانين الطبيعة على قوانين الأخلاق.[2]

وفي كتاب "الفلسفة في الجسد"،[3] درس كل من "لايكوف وجونسون" الأخلاق الاستعارية بالاعتماد على علم الدلالة الذهني، حيث بإمكان هذا العلم أن يقدم لنا وسيلة تمكّننا من تقديم تحليل مفصل وشامل لكل المفاهيم الأخلاقية، وكيفية عمل منطقها. ومن أكثر النتائج أساسية في هذا البحث أن ذهننا يحتوي على منظومة واسعة من الإسقاطات

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص158.

2 -Mark John, Moral imagination: implication cognitive science of ethics, UCP, 1993, P. 2.

3- نقلا عن: Lakoff and M. Johnson, Philosophy in the flesh, basic books, New york, 1999, P.266.

الاستعارية لفهم أفكارنا الأخلاقية، والتفكير فيها، ليخلص هذا البحث إلى أن كل مفاهيمنا الأخلاقية المجردة مشكلة استعاريا.[1]

وعند تحليلنا للاستعارات المتعلّقة بالأخلاق في الخطاب السياسي، نرى أنها تقوم على التجربة المادية، فهي مرتبطة ارتباطا لا فكاك منه بالمادة، وتجربة الجسد من صحة ومرض، وفقر، وغنى، وسواها من مظاهر المادة،[2] وهو ما سيتبيّن في التحليل التالي لبعض الاستعارات المستخدمة في الخطاب السياسي، لفهم الأخلاق، وسننطلق من هذه الفرضية التالية ومحاولة إثباتها، وهو أن الأخلاق تقوم على تجارب الجسد المادية، من خلال عملية الإسقاط الاستعاري.

أ) استعارات الأخلاق: "تملك"[3]

تعكس الكثير من الاستعارات المستخدمة في الخطاب السياسي في الحديث عن الأخلاق، على تجربة "التملك"، بحيث تصبح الأخلاق، والفضائل أشياء يمتلكها الإنسان كما أنه يمتلك شيئا ماديا كالثروات، والأموال، والسلع، وعليه سنسقط كل السمات المتعلقة بالتملك المادي على مجال تملك الأخلاق، إذ أن الملاحظ في التملك المادي أنه ثمة تمايز بين من يملك الكثير، ومن يملك القليل، والتملك الأخلاقي بدوره، يمايز بين من يمتلكون القليل من الأخلاق وغيرهم ممن يمتلكون الكثير، إذ «أن الأخلاق هي بعدد أفعال الإنسان، فلما كانت هذه الأفعال أكثر من أن تحصى كانت الأخلاق مثلها لا تحصى».[4]
ويمكن التمثيل لاستعارة "الأخلاق تملك" كما يلي:

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص160.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص161.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص172.

4- طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000، ص55.

التملك ——————► الأخلاق

+ الأموال، الثروات، السلع. (قليلة/كثيرة).	+ الأفعال الحسنة (قليلة/كثيرة)
+ الربح (المادي): (ميزان المدفوعات)	+الرفاهية (الأخلاقية): (ميزان الحسنات)
+استخدام السلع	+استخدام الأخلاق
+التفاعل مع الغير	+التفاعل مع الغير
+الاحترام من الغير	+ التقدير من الغير.

إنّ الاستعارة المفهومية في البيانات التالية من الخطاب السياسي تجعل الأخلاق أشياء نمتلكها، فهي محتواة بداخلنا من قبيل:

- «تمسكهم بقيم السلم والمصلحة»[1]
- «مما يزيدني قناعة وتمسكا...إيماني القوي بتعاليم سيد المرسلين»[2]

فإن التمسك بالشيء هو من قبيل "امتلاكه". وكما يحقّق التملك المادي الرفاهية المادية فإن الأخلاق أساسها تعزيز رفاهية الآخرين في الدنيا والآخرة، إذ «أن كسب ثمرات الخواطر والأعمال تكون نتيجة الأخلاق والأداب».[3] في حين أن عدم التملك يحيل إلى النقص، والخسارة في الدنيا والآخرة فيتم اسقاط مجال عدم التملك (الثروة/الأموال) على مجال عدم تملك الأخلاق، مما يفضي إلى نتيجة واحدة، وهو عدم الرفاهية (المادية أو الأخلاقية).

إن تملك الأخلاق يترتب أن صاحبه يربح أشياء حسنة، بينما يتوقع أن يتسبب النقص في الأذى والضرر، وهو ما توضحه الاستعارات التالية:

1- الملحق1.

2- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص40.

3- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص873..

الاستعارة	الربح/الخسارة
- بهذه الأخلاق الرفيعة...ينتقل (شبابنا) من التقليد إلى الإبداع.[1]	- الأخلاق= ربح الإبداع.
- في التسعينات...كانت حينذاك قد سمجت الأمور، وتعفنت الأشياء، وتبخرت هيبة الدولة، وذهبت القيم السامية جميعها أدراج الرياح.[2]	- التسعينات: أعمال عنف= لاأخلاق، وهو ما يؤدي إلى: الضرر والأذى (تعفن، تبخر الدولة).

ونخلص إلى أن الأخلاق، تحرّك الإنسان نحو التملك (الربح)، إنه «يحقق ذاته بواسطة أفعال مجالها متسع ومتنوع، ويتجلى تحقق الإنسان بواسطة الأفعال فيما يتخذه من مختلف المواقف التي تتحدد بمجموعها هوية سلوكه».[3]

ويمكن التمثيل لهذه الاستعارات كما يلي:

تملك ←	**الأخلاق**
+أموال	+أفعال حسنة
+ربح	+ربح (الحسنات)
+الرفاهية المادية	+ الرفاهية الأخلاقية
+منفعة	+خير

وقد مثّل "جونسون" الإسقاط الاستعاري لمجال التبادل الاقتصادي على مجال التفاعل الأخلاقي بالجدول التالي:[4]

1- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص40.

2- المرجع نفسه، ص 115.

3- طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص47.

4- عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص171.

الإسقاط الاستعاري

←

المجال المصدر: تبادل السلع	**المجال الهدف: التفاعل الأخلاقي**
البضائع، السلع	الأفعال، الحالات
استخدام البضائع أو قيمتها	القيمة الأخلاقية للأفعال
الثروة	الرفاهية
تكديس البضائع	الزيادة في الرفاهية
الأمر المربح: المتسبب في زيادة الثروة	الأمر الأخلاقي: المتسبب في زيادة الرفاهية
الأمر غير المربح: المتسبب في نقصان الثروة	الأمر غير الأخلاقي: المتسبب في نقصان الرفاهية
النقود (بديلا عن البضائع)	الرفاهية
إعطاء أخذ المال أو البضائع	إتيان الأفعال الحسنة أو السيئة
حساب المعاملات	المحاسبة الأخلاقية
توازن الحساب	توازن الأفعال الأخلاقية
الدين	الدين الأخلاقي: الدين بشيء حسن لشخص ما
الرصيد (الوضع)	الرصيد الأخلاقي: الأخرون مدينون لك بشيء حسن
التبادل العادل / الدفع	العدالة

ب) استعارة الأخلاق صحّة/ واللاأخلاق مرض:

تعتبر هذه الاستعارة المفهومية من الاستعارات الأساسية في فهم الأخلاق، حيث يتم اسقاط بنية الجسم البشري وما يتعرض له من أمراض وسواها على المجتمع بأسره فالممارسات اللاأخلاقية توصف بأنها أمراض تصيب المجتمع فتزعزع من نظامه، وتخل بتوازنه، لهذا وجب الوقاية من هذا الداء، مثلما تستلزم الحياة الصحية التداوي من المرض وفي هذا الوضع، تعمل الدولة على تحقيق سلطتها من خلال "وقاية" المجتمع من الأمراض.[1]

1- ينظر: عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص175.

ومثال ذلك الاستعارة التالية:

- «الممارسات اللاأخلاقية، والإنحرافات بشتى أنواعها إلى جانب خفوت الروح الوطنية والعزوف عن ترجيح المصلحة العامة... الداء العضال الذي نخر جسد بلادنا».[1]

فتمثل الدولة في هذه الاستعارة على أنها جسد إنسان، قد اختل توازنه نتيجة تعرضه لمرض، وهو ما تمثله الأخلاق بالنسبة للمجتمع، إن «الأخلاق عندنا...أفعال ضرورية تختل حياة الإنسان بفقدها».[2]وهو ما يشير إلى أن الأخلاق صحة واللاأخلاق مرض. ويمكن التمثيل لذلك كما يلي:

المرض	**الدولة**
+عدم القدرة على التحرك	+عدم القدرة على الاستقرار
+عدم سلامة البدن	+عدم سلامة نظام الدولة: المجتمع الاقتصاد ...الخ.
+اختلال في عمل الأعضاء	+اختلال في جهاز الدولة.
+وجود سبب للمرض	+وجود سبب لعدم الاستقرار
+البحث عن الدواء	+ البحث عن سياسة للاستقرار.
+النتيجة: - الشفاء/أو/	+النتيجة: - الاستقرار /أو/
- التدهور	- انتشار الخراب.

ج) الأخلاق قوة/ اللاأخلاق ضعف

تتحرّك الأفعال الأخلاقية داخل المجتمع بكل حرية، وبلا قيود وهو ما يعزّز قوة هذه الأفعال، ويذهب البعض إلى اعتبار أن «الأخلاق قوة تمنع الفعل غير المرغوب من التغلغل في المجتمع».[3] فالفرد الذي «يملك جدية أكبر في المعاملات»،[4] و«يخدم الوطن

1- الملحق1.

2- طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، ص57.

3- عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص179.

4- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص119.

بنزاهة وإخلاص»،[1] يمتلك قوة أكثر في التصرف، وبالتالي يتاح له محاربة أشكال الفساد.

انطلاقا من هذا التحليل، يظهر أن النسق الاستعاري للأخلاق في الخطاب السياسي يسوّغ ويعزّز من شرعية الدولة، بإعطائها مجالا لممارسة أفعالها وفق المنظومة الأخلاقية التي يسير وفقها المجتمع، وبهذا فإن الاعتماد على الاستعارات الأخلاقية هو إلباس الفعل السياسي الشرعية، ويحقق بذلك الإقناع لدى المستمعين.

2.5- تجسّد الإيديولوجيا

عرف مصطلح الإيديولوجيا استعمالات كثيرة، لم يحصر بها مفهومه، ولم يثبت معناه، فقد استعمل للدلالة على الأفكار المسبقة الموروثة عن عصور الجهل والاستبعاد والاستغفال، كما استعمل عند "كارل ماركس" للدلالة على إنعكاس المنظومة الفكرية لبنية النظام الاجتماعي، ومن جهته استعمله "نيتشه" باعتباره مجموع الأوهام والتعليلات التي يعاكس بها الإنسان/ الضحية قانون الحياة.[2]

ولهذا يرى "عبد الله العروي" أن مفهوم الإيديولوجيا، ليس مفهوما عاديا يعبّر عن واقع ملموس فيوصف وصفا شافيا، وليس مفهوما متولّدا عن بديهيات، وإنما هو مفهوم اجتماعي تاريخي، يحمل في ذاته أثار تطورات، وصراعات ومناظرات اجتماعية وسياسية عديدة، إنه يمثل تراكم معان.[3]

ومادام الخطاب السياسي لا ينفصل عن النظم الاجتماعية، فإن «الإيديولوجيا تتجلى من خلال نظام النص»،[4] فيعكس بنية النظام الاجتماعي، بكل ما يحمله من منظومة فكرية، وممارسات داخل المجتمع، وتمثل فيها الاستعارة الوسيلة الفعلية التي تحوي المفاهيم والتصورات الاجتماعية، والسياسية الممارسة في المجتمع، بل إنها تساهم في فهم بنية هذا الواقع (وقد بيّنا ذلك من خلال تحليلنا لبعض الاستعارات)، وعليه يغدو مفهوم الإيديولوجيا، متجسدا عن طريق الاستعارة.

1- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، ص179.

2- ينظر: عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط6، المركز الثقافي العربي، 1999، ص104.

3- المرجع نفسه، ص05.

4- نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، ص99.

ويطرح "بول ريكور" فكرة "كارل ماركس" الذي يوصف الإيديولوجيا باعتبارها إلتواء وإخفاء، ويتم ذلك عن طريق استعمال الاستعارة، فيحدّد الوظيفة الأولى المعطاة للإيديولوجيا، كونها إنتاج صورة مقلوبة للواقع، تساهم فيها الاستعارة بإخفاء الوجه الحقيقي للمجتمع، وتصير الإجراء العام الذي بواسطته تزيّف سيرورة الحياة الواقعية عن طريق التمثيل المتخيل الذي يصنعه الناس لتلك السيرورة، ويصل "ريكور" إلى نتيجة وهو أنه بالرغم من أن الإيديولوجية صورة مشوهّة، وقلب للحياة الواقعية وإخفاء لها، إلا أن تصورات الحياة الاجتماعية والسياسية بقيت غائصة فيها.[1]

ولتحديد الوظيفة الثانية للإيديولوجيا، ينتبه "بول ريكور" إلى أن فكرة استعارة القلب، تخفى بدورها ثغرة خطيرة في التفسير، فإذا قبلنا أن الحياة الواقعية تسبق في الواقع الوعي، وتمثيلاته، فإننا لن نفهم كيف يمكن للحياة الواقعية أن تنتج صورة عن نفسها، وبالأحرى أن تنتج صورة مقلوبة إلا إذا ميّزنا داخل بنية الفعل نفسه وساطة رمزية يمكن تحريفها؛ أي أن يكون الفعل معجونا بالمتخيّل، فندرك كيف أن هذه الصورة المزيفة يمكن أن تولد من الواقع، و هو ما يجعل من الإيديولوجيا "تبريرية" وذلك حينما تضفي على نفسها صفة الأفكار الكونية، أي أنها صالحة لنا جميعا، وحيث عملية التمييز بين الحاكمين والمحكومين علاقة لا متماثلة، تطلب حتما بلاغة الإقناع وهو ما تستطيع اللغة بموجبها أن تستجيب لهذا المقتضى عن طريق الاستعمال المستمر للوجوه البلاغية والاستعارات مثل السخرية، والالتباس، والمفارقة، والمبالغة وهوما يجعل الاشتغال الإيديولوجي مخصص لإضفاء المشروعية.[2]

ويؤكد "ريكور" في هذا الصدد أنه عندما يكون اللجوء إلى بلاغة الخطاب العمومي بهدف الإقناع، فإن هناك ثمة مشروعية تساهم فيها الاستعارة بشكل فعّال، وعليه يصل إلى مستوى أعمق للظاهرة الإيديولوجية، الذي يطلق عليه "وظيفة الإدماج"، حيث تكتسب تماسكا ودواما بفضل الصورة المستمرة التي تعطيها عن نفسها، وبهذا تغدو الاستعارة، «كما لو كانت تمنح الخطاب جسما، إطارا ووجها ما».[3]

1- ينظر: بول ريكور، من القول إلى الفعل، ص265، 266.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص266-268.

3- المرجع نفسه، ص150.

وخلاصة القول أن الخطاب السياسي الجزائري قد استعمل الاستعارات "الكلية" التي تتيح تعزيز التواصل والتكامل بين الدولة والشعب باعتباره "كيانا" موحّدا، وهو ما ينتج عنه توجهات وسلوكيات تشد بعضهما مثل فكرة الإخلاص، والتعاون، والقضاء على الفتن، والعمل في سبيل المصلحة للطرفين، فتكون الاستعارة قد عملت على إنجاز أفعال من خلال قوتها التأثيرية والإقناعية.

ويذهب عبد الله حمودي إلى أن خطاب الإيديولوجيين العرب عامة، لم يستعمل الاستعارة العضوية، التي تقوم على فكرة أن الحياة تنتج عن عمل كل عضو على حدة مما يؤدي إلى انسجام كل عمل في منظومة موحدة، وهي استعارة مألوفة جدا في الأنظمة المبنية على النقابية المحدودة في أفق المصالح، وبالمقابل شكّلت الأسرة والأخوة والجماعة، والأمة، الاستعارات الرئيسية في خطابهم، لهذا لا يمكن تشبيهها باشتغال الأعضاء (الاستعارة العضوية)، إذ أنها تهدف إلى المحافظة على الوضع القائم).[1]

ومن جهته يرى" روبول "(O. Reboul)، في كتابه "اللغة والايديولوجية"، أن دور الاستعارة في الخطاب الإيديولوجي يختلف باختلاف الإيديولوجيات، فنجد أن استعارات الإيديولوجية الليبرالية مأخوذة من الرياضيات، ومن علم الحركة، والقانون والمساواة (باعتبار أن هذه العلوم تتقبل المنطق دون المراوغة)، في حين أن الاستعارات المحافظة مأخوذة من البيولوجيا: "الكلية، العرق أو السلالة" باعتبارها تتلاءم مع الإيديولوجيا المحافظة التي تكون وظيفتها الحفاظ على الوضع القائم، الذي تعرفه. أما فيما يخص الماركسية، فيرى الباحث أنها تفضل استعارات من الديناميكات والكيمياء: "الجماهير الكتل (les masses)، محرك للتاريخ، قوى علاقات الإنتاج، جهاز الدولة، ضغط الجماهير، وذلك من أجل تبرير الواقعة المتناقضة للتنبؤات في المجتمع، (المتمثلة في أن ثورة 1917 التي حدثت في روسيا، يتم تعريفها بأنها الحلقة الأضعف في سلسلة الدول الرأسمالية).[2]

1- ينظر: عبد الله حمودي، الشيخ والمريد (النسق الثقافي للسلطة بالمغرب)، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، 2000، ص222.

2- ينظر: روبول، استعارات الخطاب الايديولوجي، تر: محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي، اللغة ضمن سلسلة دفاتر فلسفية، ط4، دار توبقال للنشر، المغرب، 2005، ص111- 112.

ويخلص روبول إلى أن هذه الاستعارات المستمدة من البيولوجيا، والفيزياء والرياضيات،-ودوما من علوم- هو ما يضفي عليها طابع الموضوعية، والبداهة ويخفي وظيفة تبرير سلطة ما.[1]

- خلاصة

- اعتبرنا في هذا التحليل أن الاستعارة في الخطاب السياسي تعكس أشكال التفاعل داخل المجتمع، وهو ما يجعل من نسقنا التصوري أنه استعاري، إذ أننا نمارس تجاربنا وأفعالنا بشكل استعاري.

- إنّ الاستعارة في الخطاب السياسي لا تكشف فقط عن خصائص سياقية ناتجة عن تحليل بلاغة النص، وإنما تكشف كذلك تشكلات باطنية، للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والخلفيات الفكرية التي توجّه رؤيتنا للأشياء مما يجعل منها وسيلة معرفية.

- أقامت الاستعارة في الخطاب السياسي علاقة فاعلة مع الجمهور من خلال المفاهيم والمواقف، والاتجاهات التي تصاحب عملية إدراكها وتأويلها، كما أنها ساهمت في تشكيل الواقع وتغييره من خلال عملية الإقناع التي تمارسها.

- إنّ الاستعارة ظاهرة ذهنية، مكّنت التفكير البشري من التعامل مع المجردات من خلال إسقاط التجارب المادية، كما تدخلت في تشكيل المفاهيم، كالمفاهيم الأخلاقية والإيديولوجية.

1- ينظر: روبول، استعارات الخطاب الإيديولوجي، ص113.

خاتمة

1. توصلنا في هذه الدراسة، إلى اعتبار أن الاستعارة ليست وسيلة لغوية لوصف تشابهات موجودة قبليا بين شيئين، وإنما هي وسيلة مفهومية، ومعرفية لإدراك الواقع وهو ما يجعلنا نأخذ بالنظرية التفاعلية على حساب النظرية الاستبدالية، بحيث تكون الاستعارة تعبيرا عن تصوراتنا الذهنية، ترتبط فيه كل الارتباط بالتجارب الحياتية التي تتعلق بالنظم الاجتماعية، والثقافية؛ مشكّلة بذلك بنية جديدة هي حصيلة تفاعل مجالين، يتم وفقها نقل كل سمات المجال الهدف إلى المجال المصدر، وليس فقط السمات المشتركة بينهما وهو ما يؤكّد أهمية النظرية التفاعلية المعرفية التي سدت ثغرات التصور التقليدي للاستعارة فاتحة بذلك مجال التفاعل بين القارئ، والسياق، واستغلال ثراء الموسوعة المعرفية المفتوحة على مختلف العلوم بدل محدودية القاموس.

2. ركزنا في القسم التحليلي، على مفهوم الاستعارات الكبرى لدى "لايكوف وجونسون"، ومفهوم الاستعارة التصورية أو المفهومية، التي تعزّز استعارية نسقنا التصوري، أي أن جل تصوراتنا تفهم جزئيا بواسطة تصورات أخرى، إضافة إلى أن الاستعارة ليست مقتصرة على اللغة الأدبية، بل توجد في تفكيرنا، وفي لغتنا اليومية وفي كل الأعمال التي نباشرها، فالنسق الذي يسير مفاهيمنا وسلوكاتنا له طبيعة استعارية بالأساس على حد تعبير "لايكوف وجونسون".

3. استخلصنا من خلال تحليلنا لبعض الاستعارات الواردة في الخطاب السياسي إلى اعتبارها أنها كيان فاعل، تشكل الدور المركزي لخلق مفاهيم ومعاني الواقع، بالكشف عن أشكال التفاعل داخل المجتمع، والخلفيات الفكرية، والتصورية التي توجّه الخطيب وذلك بخلق فضاء من التحاور مع المتلقي (المستمع)، فالاستعارة توسع من مجال التأويل، فهي تنفتح على تعدد المعاني وتوسيع فضائه وحقوله مما يجعل المستمع يتفاعل معها، ويتم عبرها التغيير من انتظاراته وآفاق توقعاته، أو تعزيزها بصورة أكبر، وهو التصور الذي يجعل من الاستعارات فاعلة كسلطة رمزية، هدفها تعزيز وتدعيم شرعية الدولة بواسطة تحويل المعارضة، وبالتالي يمكن اعتبارها بمثابة وسائل تكتيكية لانجاز الأفعال، كالتهديد والتنبيه، والتعزيز، لا تختلف فيها عن سلطة الأفعال المنجزة بالقانون والقوة.

4. إن الاستعارة ليست وسيلة لغوية لتجميل الخطاب وزخرفته، وإنما مفهوم يقوم على مفاهيم معرفية تتبلور بموجبها كل المعارف والنظم الموجودة في المجتمع، فتكون بذلك محتواة داخل الاستعارات، كما أنها تختلف، وتتنوع من ثقافة لأخرى تبعا لتعدد وتنوع الثقافات التي تنتجها، وهو ما يستند إليه المتلقي في عملية التأويل، والفهم.

الملاحـــق

الملحق1

مقطع من خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة اختتام حملته الانتخابية لرئاسيات 09 أفريل 2009.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين

حضرات السيدات والسادة

ها نحن قد بلغنا نهاية حملة انتخابية أثبتت جدواها وسلامتها بالنسبة للممارسة الديمقراطية، وأتاحت لنا فرصة التواصل المباشر مع شعبنا الأصيل في أغلب ولايات بلادنا المترامية الأطراف. أود، في هذا المقام، أن أرفع تحية الإكبار إلى مواطنينا الأعزاء على الثقة الكاملة والدعم اللذين حبوني بهما وعلى تمسُكهم بقيم السلم والمصالحة.

إن دلائل التقدير تلك كانت لي مبعثا للارتياح وتشجيعا على الاستمرار في هذا النهج لمصلحة الجميع. ولا يفوتني أن أزج بخالص الشكر وعميق الامتنان إلى أولئك الذين لم يدّخروا أي جهد لمرافقتي طيلة الأسابيع الأخيرة سواء أكانوا من أحزاب التحالف الرئاسي، أم من المنظمات الوطنية والاجتماعية، أو من المجتمع المدني [...].

لقد كان من الأهمية بمكان أن أعرض عليكم، خلال هذه الحملة، حصيلة العهدتين اللتين أولانيهما الشعب، إلى جانب البرنامج الذي أنوي تطبيقه خلال السنوات الخمس المقبلة إن قرر الشعب الجزائري أن يجدّد لي ثقته. وكان لا بد لي أن أبرز ضرورة مواصلة وتعزيز مسعى إعادة البناء، الذي باشرناه منذ عشر سنوات حتى نحفظ له تناسقه وتصوره الشامل، ولا غاية من ذلك في نهاية المطاف سوى جعل بلادنا، وإلى غير رجعة، في مأمن من النوائب وتقلبات الظروف التي تظل أمرا واردا في عالم ازداد ترابطا، عالم يحمل من يوم إلى آخر مخاطر جديدة للأمم الأضعف جانبا.

إن الحملة الانتخابية تنتهي اليوم وتفسح المجال للتفكير. وقبل أن تعبّروا عن رأيكم بكل سيادة، دعوني أغتنم فرصة إعتلائي هذا المنبر لأتوجه مرة أخرى وبالصراحة التامة، إليكم و إلى كافة أبناء وطننا الأعزاء.

عادت بلادنا، بحمد الله من بعيد، إنها خرجت من تلك الأزمة النكراء التي كادت أن تعصف بأركان دولتنا الفتية، تلك الأزمة التي فضحت بعنف ما آلت بنا إليه سلسلة من الأخطاء ارتكبت على الخصوص في مجال الخيارات الإستراتيجية. أسهمت في ذلك النقائص المسجلة في مجال الحكامة وأخلاقيات الحكم والتوجّهات الاجتماعية والاقتصادية غير المحكمة التدبير وكذا ابتعاد الطبقة الحاكمة عن الحقل الاجتماعي. فعلاوة على تلك الويلات الفظيعة التي سلطها الإرهاب على الساكنة، أوصلت تلك المأساة اقتصادنا، أو كادت، إلى إفلاس، وتلاشي نسيجنا الاجتماعي وانتشرت الممارسات اللاأخلاقية والإنحرافات بشتى أنواعها، إلى جانب خفوت الروح الوطنية والعزوف عن ترجيح المصلحة العامة.

من الفائدة، ونحن بصدد مثل هذه الظروف أن نتساءل عن أسباب هذا الداء العضال الذي نخر جسد بلادنا، حتى لا نقع في نفس الأخطاء، إنه لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا أن ثورتنا، مهما كانت مجيدة، لا تقينا وإلى الأبد من نوائب الدهر، بل يتعيّن علينا كل يوم ينعم به الخالق علينا، أن نعمل لكي نكون في مستوى عظمة هذه الثورة وأن نحافظ على الحلم الذي غذته للأجيال الصاعدة. وبالنظر إلى الأزمة المتعددة الأوجه، كان لا مناص لنا من البحث عن حل شامل وتدريجي ومخطط ودائم.

كلكم يدرك أنه كان من قبيل المحال أن نركز جهودنا على تشييد بلادنا ونغض الطرف عن استمرار غياب الأمن وانتشار التخريب الذي يقوّض التماسك الاجتماعي ويزرع الشحناء، إنه كان من غير المعقول تأجيل استعادة الثقة والمصداقية والشرعية لمؤسساتنا وتحديث الحكم، كما لم يكن من الممكن تأجيل إنشاء قاعدة اقتصادية متينة وتطبيق المشروع الديمقراطي إلى جانب الاستجابة لمتطلبات الحياة الكريمة.[...]

لقد قمت بجميع هذه الأعمال في ظروف لم تكن يسيّرة بالمرة، وبذلت قصارى جهدي من أجل تحسين صورة الجزائر في العالم، لكنني حرصت على الدوام على أن أضع في صدارة انشغالاتي مسألة استعادة السلم الاجتماعي والأمن في سائر أرجاء البلاد. لقد تسنى لي، خلال الأسابيع الأخيرة، أن أقف على الانعكاسات الإيجابية للمصالحة الوطنية كما لمست مدى وعي مواطنينا بهذه الحقيقة الساطعة، والحاصل هو أن الأغلبية الساحقة من الساكنة قد تبنتها لفتح الباب على مصراعيه في وجه الذين قرروا العودة إلى جادة الصواب والرجوع إلى أحضان شعبهم في كنف الكرامة [...] وقد انتصرت هذه الإرادة الوطنية المعبر عنها عن طريق الاستفتاء، على مواقف التردد ومكنتني من تطبيق سياسة المصالحة هذه في إطار ما ولاني عليه الشعب. وقد سجلت تدابير ميثاق السلم والمصالحة الوطنية تطبيقا ميدانيا واسعا فأعادت بذلك الوئام إلى القلوب مستبعدة أي إقصاء للأسر المفجوعة جراء المأساة الوطنية.

ولهذا فإنني مازلت متمسكا بقناعتي التامة بأن استعادة السلم المدني وتحقيق المصالحة هي أولية وطنية حتى نقضي على بؤر التوتر وأوكار الشر، ولئن فضلتُ انتهاج هذا المسعى فلأن معاناة شعبنا طالت، ولأننا ملزمون باتخاذ جميع التدابير التي تحفظه من المزيد من الآلام والمعاناة، ولتمكين وطننا من إعادة بناء نفسه والسير في طريق الازدهار، فإننا لن نستسلم أمام أولئك الذين يتمسكون بنهج الإرهاب والخراب.

إن شجاعة وتضحيات وتصميم قوات الأمن، وفي مقدمتها الجيش الوطني الشعبي ستهزم الجماعات الإرهابية التي ترفض الفرصة المتاحة لها للعودة إلى أحضان شعبها. لقد تم ضبط حدود حلم الدولة ولئن ظهرت حاجة الذهاب إلى أبعد من ذلك فلا مندوحة من التفكير، بروية وتبصُّر، في هذا المسعى الجديد وطرحه على الإجماع الوطني، ومهما يكن من أمر فانه لا يمكن أن تكتمل شروط إصدار عفو عام شامل لصالح أولئك المتعنتين في انتهاج العنف ما لم يذعن للاستسلام النهائي والكامل، بقايا الجماعات الإرهابية التي مازالت ممعنة في غيّها؛ ولن يصدر أي عفو شامل على حساب إرادة الشعب وكرامته كما لا يمكن تصور أي قرار من هذا القبيل على حساب مصلحة الوطن. وهذا ما يقتضي

مشاركة جملة الجزائريين على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم السياسية، وبهذا الشرط، بهذا الشرط وحده، ستهدأ النفوس ويفسح المجال للرحمة ثم للعفو عند الاقتضاء.

حضرات السيدات والسادة

لم تتسبب المأساة الوطنية هذه في إزهاق عشرات الآلاف من الأرواح البشرية وفي الخسائر المادية الفادحة فحسب، وإنما كانت لها نتائج وخيمة زادت من الريبة في نفوس الشباب إزاء الدولة، وشجعت انتشار بعض الممارسات الضارة بين أوساط الفاعلين العموميين في مستويات عدة، وجلب ونشر بعض المعتقدات الغريبة عن تقاليدنا.

لقد حذرتُ، في شتى المناسبات، من مغبة تلاشي بعض القيم الأساسية التي تشد لحمة أمتنا، ولا تفوتني الإشارة، في هذا المقام، إلى أن الرهان الحقيقي لا يكمن في رفع تلك القيم إلى مرتبة الأسطورة بقدر ما يكمن في ترسيخ الإعتزاز بالوطن في قلوب الشباب وتعميق تعلُّقهم به. [...]

يجب علينا تلقين الطفولة والشبيبة بالقيم الصحيحة المستلهمة من الإسلام، وقيم السلم، والأخوة، والتسامح، ومن تاريخنا وإنتمائنا إلى الحضارة العربية الإسلامية؛ وأن نغرس فيهم، منذ الصغر، الحس المدني ومعاني المواطنة وحب الوطن. [...]

إنني على يقين، من أنه لا يمكن فرض حب الوطن، والتعلق به، واحترام هذه القيم بإصدار المراسيم، لكنه يتعين علينا أن نشجع ذلك من خلال القوانين وبرامج التعليم وبإعطاء المثل والقدوة [...]. إن التعبير عن الثقة إزاء الدولة يمر حتما عبر أداء مختلف الواجبات وكذلك من خلال استعادة مصداقية وشرعية المؤسسات وتحسين الأداء السياسي، كما تتجلى تلك الثقة من خلال تكفل الدولة بشتى اهتمامات المواطنين.

لقد ركزتُ جهودي، خلال العشر سنوات الماضية، على عملية واسعة لإعادة البناء موجّهة نحو تلبية حاجات وتطلعات السكان المتزايدة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية وإعادة بناء المنشآت القاعدية، [...] يضاف إلى هذا، خلال نفس العشرية، توفير أكثر من 2,5 مليون منصب شغل من خلال مختلف آليات مكافحة البطالة سوف تتواصل هذه

الجهود برصد ميزانية عمومية قدرها 150 مليار دولار لإعطاء دفع جديد للنمو الاقتصادي؛ وذلك بتوفير المزيد من الوسائل من أجل إنتاج الثروة من غير المحروقات وهو ما سيؤدي إلى توفير عدد أكبر من مناصب الشغل في شتى قطاعات النشاط ، ولقد وضعنا نصب أعيننا رفع تحد آخر بتوفير 3 ملايين منصب شغل خلال السنوات الخمس المقبلة، ولاسيما في إطار برامج الاستثمار العمومي وترقية الاستثمار الاقتصادي.[...]

أجل، لا بد لنا من تحقيق المزيد من التقدم في مجال التنمية البشرية، [...]. إن أزمة السكن تخف بصورة محسوسة، ذلك أنه تم إنجاز أزيد من مليون ونصف المليون وحدة سكنية خلال السنوات العشر الأخيرة، [...] وبهذا تقلّصت مدة انتظار استلام السكن وانخفض متوسط شغل السكنات إلى 5 أفراد في السكن الواحد علما أن أزيد من 10 ملايين مواطن تحصلوا على مسكن. وخلال السنوات الخمس المقبلة سنعمل على امتصاص، بل القضاء على أزمة السكن.[...]

كما شهد مؤشر الأمل في الحياة تحسنا ملحوظا، والأمر ذاته ينسحب على مؤشر الفقر البشري، لقد أصبح دعم وحماية المنظومة الوطنية للضمان الاجتماعي واقعا ملموسا بفضل - على سبيل المثال- العمل بنظام بالدفع من طرف الغير أو رفع المنح والتعويضات لفائدة أكثر من 1,5 مليون من المستفيدين من المنح وكذا إنشاء صندوق وطني لاحتياطات التقاعد.[...]

إن مجهود إعادة البناء الوطني هذا كان دوما مرفوقا بانشغالنا الدائم بتحرير بلادنا من التبعية المالية للخارج وكذا تطهير المالية العمومية، فلذلك تم خفض المديونية الخارجية لبلادنا بحيث تقلصت من 29 مليار دولار سنة 1999 إلى أقل من 5 ملايير دولار حاليا.[...] الأمر الذي أتاح لنا التصدي للأزمة الاقتصادية الدولية، بحذر ولكن دونما خوف على مواصلة مجهوداتنا التنموية، بينما تم خفض المديونية الخارجية [...].

لم يعد اليوم شبح المأساة الوطنية يخيّم على بلادنا، وبفضل الانتعاش الاقتصادي والاجتماعي علينا الآن أن ننتقل إلى مرحلة جديدة في مجال حقوق الإنسان والحكم الراشد وتحسين مستوى معيشة المواطنين وجودتها على حد سواء.

إنني عازم على ترقية وضمان الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان وتعزيز التعددية السياسية ومساندة مشاركة المواطنين وكذا تحسين الحكم، وفي هذا المقام أجدّد أمامكم تقديري الخاص للدور الذي اضطلع به الجيش الوطني الشعبي، فأفلح في صون الطابع الجمهوري لدولتنا والحفاظ على وحدتنا الترابية من الاعتداءات التي تعرضنا لها كما أعبر عن اعتزازي وعرفاني للجيش الوطني الشعبي سليل جيش التحرير الوطني الذي دفع ثمنا غاليا في مقارعة الإرهاب، و كان على الدوام حاضرا في كل موعد وطني هام.[...].

حضرات السيدات والسادة:

إن إنجازات السنوات العشر الأخيرة تبعث في نفوسنا الأمل وتفتح أمامنا أفاقا جديدة شريطة أن يلتف جميع أصحاب النوايا الحسنة حول هذه الأهداف الأساسية بعيدا عن كل الاختلافات الحزبية. إن الأمر لا يتعلق بجملة من الوعود الانتخابية بل بتعميق مسار باشرناه منذ عشرية تقريبا وقد أعطى نتائج ملموسة وصار ينطوي على محتوى لا يخفى عن العيان. لاشك في أن التقدم لا يتحقق بالرغبة وحدها وإنما يقوم على إستراتيجية يتعين تحديد مراحلها وشروطها الموضوعية.

إن توفير هذه الشروط الاجتماعية والسياسية، وان كان يضمن تفتح الفرد، فإنه ليس غاية في حد ذاته، وجزائري الغد الذي لا تعترضه هذه الإكراهات المادية ويعيش في تناغم مع ذويه متصالحا مع وطنه منسجما مع قيمه الأصيلة سيقوى على إعادة بناء وطن وفق طموحاته واستدراك التأخر واللحاق بركب دول العالم المتطورة.

أشكركم على كرم الإصغاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الملحق2

مقطع من خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة

نجاحه في الانتخابات الرئاسية أفريل 2009

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة

والسلام على أشرف المرسلين

وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين

أيتها الجزائريات أيها الجزائريون

بنات وأبناء وطني الأعزاء

إنكم حبوتموني بثقتكم من جديد كي أواصل وأستكمل المهمة التي باشرتها بتوكيل ومساندة منكم. وإني وإن كنت معتزا غاية الإعتزاز باختياركم إياي فإن ذلك لا يمنعني من أن أقدر حق التقدير جسامة ما يحملني ذلك من مسؤولية، لأن الأمر يتعلق بتلبية تطلعاتكم وآمالكم والسير بالجزائر قدما حتى تصبح ذلكم البلد القوي الآمن المزدهر الذي نحلم به جميعا. وما يزيد هذه المسؤولية جسامة، أننا نعيش في عالم تلفه وتتهدده من كل جانب الأزمات من مثل التغيرات المناخية والشح المتوقع في الموارد الغذائية وكذا الأزمة المالية الحادة التي تضرب الاقتصاد العالمي ولا تستثني بلادنا كغيرها من بلدان العام الثالث.

[...]. إن المقتضيات الأساسية لسياستنا الوطنية إنما تتمثل في الوصول إلى تجميع هذه الموارد وتوفير الشروط التي تتيح لها تفتيق جميع طاقاتها وإمكانياتها تلبية لذلك، عقدت العزم أولا مثلما تعهدت به على مواصلة مسعى المصالحة الوطنية وتعميقه، المسعى الذي سانده الشعب الجزائري عن بكرة أبيه والذي أتاح عودة السلم المدني والذي من شأنه أن يسهم مستقبلا في تعزيز التلاحم الاجتماعي وضمان ديمومة الوحدة الوطنية.

لقد نجحت بلادنا بعد أن كبحت خلال السنوات الماضية النكوص الاقتصادي والاجتماعي الذي أنهكها طيلة ما يقارب العقدين من الزمن في العودة بعزم وإصرار إلى نهج التنمية، ولئن تم تحقيق تقدم معتبر في الميدان الاجتماعي في خضم الجهود المبذولة

في سبيل النهوض فإنني أبقى واعيا كل الوعي بالصعوبات التي ما تزال فئات عريضة من شعبنا تتخبط فيها، من منطلق إدراكي لتطلعاتها المشروعة من ثمة، سيظل ما دأبنا عليه من تحسين لظروف معيشة المواطنين على رأس أولوياتنا.[...].

من حق شعبنا أن يرجو جني ثمار الجهود الجبارة التي بذلها من أجل إقامة المنشآت القاعدية على اختلافها وتوفير الوسائل اللازمة لتسييرها. إن تشديد الصرامة في التسيير وتطوير روح المبادرة [...] وفي سبيل ذلك سيتم الإسراع في إصلاح هياكل الدولة ومهامها مع توخي توزيع جديد للسلطات العمومية قوامه المزيد من اللامركزية على وجه الخصوص، اللامركزية التي ينبغي أن تكون فعلية بتحقيق التساوق بين المهام المحددة والوسائل الموفرة اللامركزية التي ينبغي كذلك أن تقي من مخاطر الانزلاق وتتولى الدولة من جهتها تعزيز مساعيها الرامية إلى ترقية وتنمية الحس الوطني وثقافة المواطنة في أوساط الشبيبة.

حضرات السيدات والسادة

بالرغم من الأزمة الاقتصادية الخطيرة التي تغزو العالم تسنى لنا تطبيق البرامج التي رسمناها في مجال التنمية الاجتماعية بفضل توجهات سياستنا المالية، التوجهات التي أتاحت لنا على وجه الخصوص التخلص من ديوننا الخارجية وتشكيل احتياطات مخصصة لمواجهة تقلبات أسواق النفط غير أن ذلك لا يعفينا من توخي المزيد من الحيطة تجاه تطورات الاقتصاد العالمي، ولا يمكننا فضلا عن ذلك أن ننسى أن نهاية عهد النفط آتية لا محالة بالنسبة لبلادنا.

واستعدادا لهذا المآل حرصنا على تكييف إطار تسيير الاقتصاد مع الواقع الجديد وعلى توسيع وتحديث منشآتنا الاقتصادية وعلى تطهير مؤسساتنا المالية وإعادة تحديد حيز القطاع العمومي الاقتصادي وترشيد تنظيمه. وقد باتت الظروف مواتية لمباشرة حركة واسعة لتنويع نسيجنا الاقتصادي وتكثيفه. وستسعى الدولة بكل طاقتها إلى حفزه ودعمه بإنعاش الاستثمار في فروع الاقتصاد العمومي، وبإعادة توجيه بنوكنا نحو تمويل نشاطات الإنتاج [...].

إن البعد التكنولوجي هذا هو الأساس في التنافسية الدولية، وهو مطلب يزداد إلحاحا ويصبح مطلبا مطلقا كلما اقتربت نهاية عهد البترول. وقد كان إعداد الأجيال الناشئة لمواجهته انشغالا دائما للسياسة المنتهجة منذ عقد من الزمن.

وفي هذا المنظور بالذات باشرنا إصلاحا واسعا للمنظومة التربوية [...] وفي مجال التعليم العالي بوجه أخص سنواصل جهودنا من أجل تلبية الطلب الكبير الناجم عن تنامي تعداد الطلبة، وامتدادا لهذه المساعي سيتم تكثيف الجهود المتوخية توفير الظروف لانطلاقة البحث انطلاقة حقيقية. وسنرفع وتيرة التوظيف الفعلي للوسائل القانونية والمادية الملائمة [...].

وقد تجسد الانشغال الدائم بالإدماج الاجتماعي للشباب خلال العقد الفارط في ارتفاع عدد المتربصين في التكوين المهني ثلاثة أضعاف، وسيتواصل المسعى العمومي في هذا المجال بالتركيز على توسيع الإمكانات مجددا [...] وقبل كل شيء الشغل الذي كان وضعه كارثيا جراء فترة طويلة من النكوص والأزمات في نهاية التسعينيات بنسبة بطالة طالت ثلث اليد العاملة، وقد مكنت الأعمال التنموية بالتضافر مع التدابير الخاصة الموجهة للشباب من تحسين الوضع بشكل ملحوظ والإسهام بشكل غير مباشر في عودة السلم المدني. ومع ذلك فما أكثر الشبان الذي لا يجدون عملا وهو ما يسهم في بعث الخيبة والتذمر في نفوس الكثير منهم وحتى اليأس والانسياق للإغراءات الضارة لدى بعضهم.

ومن منطلق تمام إدراكي لهذا الوضع ولحالات اليأس الشخصية هذه صممت على تحقيق هدف رئيسي يتمثل في إنشاء ثلاثة ملايين منصب شغل خلال السنوات الخمس المقبلة. وسأسهر باستمرار على تسخير كافة وسائل النشاط العمومي لتحقيق هذا الهدف الذي سيتيح إدماج الأغلبية الساحقة من شبابنا مهنيا وفتح آفاق مشرقة في وجه الجميع وفضلا عن التشغيل يتعين على السلطات العمومية أن تحرص كل الحرص على أخذ ما تبقى من حاجات الشبيبة في الحسبان. وسيتم على وجه أخص توجيه برامج الاستثمار[...]

وسيتم رفع الدعم الموجه لجمعيات المجتمع المدني الناشطة في هذا المجال وتوجهيه نحو تحقيق الأهداف المنشودة وتعهده بالمتابعة بما يضمن نجاعة إسهامها ومطابقته للأهداف المرسومة.

إنه لمن الأهمية بمكان أن نواصل ونكثّف محاربة ممارسات المحاباة والمحسوبية التي هي مصدر للإحباط ولتثبيط العزائم ومحاربة الرشوة والفساد التي تساهم تأثيراتها في جعل الناس يعزفون عن الجد [...] كما أن تسهيل لجوء المرتفقين إلى الطعن ومتابعته باستمرار وتنظيمه بأن يسهم في الوصول إلى فعالية أكبر في محاربة الانحرافات.[...]

حضرات السيدات والسادة

بعد سنوات طوال من مكابدة العزلة على المستوى الدولي استرجعت بلادنا مكانتها كاملة في حظيرة الأمم واسترجعت في الآن ذاته الاحترام الذي كانت تحظى به تقديرا لكفاحها التحريري البطولي ولدعمها الدائم والثابت للقضايا العادلة في العالم وستواصل الجزائر وفاء منها لهذا الرصيد السعي على الساحة الدولية من أجل ترقية عالم أكثر عدلا وأكثر تضامنا.[...]

ومن نافلة القول، أن أجدد تأكيد مواقفنا في العالم العربي وفي إفريقيا وفي العالم الثالث ومساندتنا لكافة القضايا العادلة لاسيما قضايا الشعوب المكافحة من أجل التحرر من مثل الشعب الفلسطيني والشعب الصحراوي.

أشكركم على كرم الإصغاء

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الملحق3

مقطع من مشروع عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة

ترشحه للانتخابات الرئاسية أفريل 2009.

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي المواطنين

لقد شرفتموني بثقتكم، مرتين متتاليتين، في 1999، وفي 2004، فأتحتم لي بذلك، فرصة العمل معكم على النهوض بالجزائر بعد المأساة الوطنية. والواقع أن السلم والأمن قد استتبا بشكل واسع، عبر ربوع البلاد، وأصبحت المصالحة الوطنية حقيقة تتأكد مع مرور الأيام، وباتت التنمية الاقتصادية والاجتماعية تنتعش من جديد، وها هي الجزائر تعود إلى الساحة الدولية، وفيّة لمبادئها وتضامنها، وتحظى باحترام دولي بل وصار صوتها مسموعا لدى كل شركائها في العالم. [...]

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه النتائج، التي كانت ثمرة جهد استفاد من مساهمة ملايين العمال، والإطارات، والفلاحين وغيرهم من المواطنين والمواطنات في جميع الميادين، تشكل جملة من المكاسب من أجل مواصلة البناء الوطني، والتكفل بما قد يطرأ من نقائص، على نحو يسمح لنا غدا، بتجسيد أشواط أخرى على درب التقدم، كفيلة بجعل تنمية بلادنا في منأى من التقلبات، ويتيح تحويل تصالح الجزائريين مع أنفسهم ومع الوطن إلى حقيقة لا رجعة فيها.[...]

وحرصا منها على ترقية مبادلاتها مع باقي بلدان العالم، ستستمر الجزائر في بذل الجهود بغرض الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة، [...] بل إن الجزائر ستظل ملتزمة بالعمل على صون السلم والأمن الدوليين.

إن الجزائر سوف تمتنع دوما، عن المساس بالسيادة المشروعة للشعوب الأخرى وحريتها، وستظل متمسكة بعقيدتها المتمثلة في الحث على تسوية النزاعات الدولية بالوسائل السلمية. وإنها، انطلاقا من هذه الروح، ستواصل تحديث قدراتها في مجال الدفاع الوطني، ولا شك أن الأمة ستظل مدينة بالعرفان للجيش الوطني الشعبي، سليل جيش التحرير الوطني عن جدارة، نظير التزامه وما قدمه من تضحيات من أجل الحفاظ على الجمهورية، وأمن الأشخاص والممتلكات أمام تكالب الإرهاب. [...]

لقد سعيت طيلة عشر سنوات، إلى استعادة الأمن عبر ربوع البلاد، وعلى ترقية المصالحة الوطنية، من أجل وضع حدّ للفتنة ووقاية شعبنا من بذور الحقد والضغينة. وإني لعازم على مواصلة هذا المسعى بنفس الحزم، على نحو يجسد نص وروح أحكام ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، الذي اختاره الشعب بحرية. وبهذا الشأن، فإن محاربة الإرهاب ستتواصل بكل صرامة القانون، وسيتم في نفس الوقت، الإبقاء على الباب مفتوحا أمام الذين يريدون استدراك أنفسهم والعودة إلى صفوف الأمة.

وإذ ستبقى الأمة متضامنة مع ضحايا الإرهاب، فإنها ستظل أيضا، تدين بالعرفان إزاء كل أولئك الوطنيين الذين ساهموا في الحفاظ على الجمهورية، والذين ستتخذ إجراءات من أجل تسهيل إعادة إدماجهم الاجتماعي، كما ستتخذ إجراءات لتحسين وضعية أولئك الذين لا يزالون على التزامهم باقون في الميدان، عن طواعية، لمحاربة الإرهاب. ولقد سهرنا، طيلة هذه السنوات الأخيرة، على تنفيذ الأحكام التي أملاها ميثاق السلم والمصالحة الوطنية. [...]

وهكذا سأسهر على مواصلة إصلاح منظومتنا التعليمية الوطنية، وعلى الرفع من قدراتها، [...] وبالموازاة مع ذلك، ستحشد الدولة مزيدا من الوسائل من أجل مكافحة الأمية لدى الكبار من السكان.[...] كما سنسهر على توفير الشروط المطلوبة لتفتح شبابنا وحمايتهم من الآفات الاجتماعية. [...]

لقد تمكنت الجزائر، بفضل الله، وبفضل شجاعتكم المثالية وحسكم الوطني وإيمانكم من تجاوز مأساة رهيبة ومن العودة إلى المصالحة؛ [...] بعيدا عن كل أشكال الإقصاء والتهميش من أجل بناء جزائر آمنة، ولا شك أن طاقاتكم وجهودكم هي التي ستمكننا سويا، بعون الله تعالى، من بناء جزائر مزدهرة، في فائدة شعبنا كله، وفي فائدة الأجيال الصاعدة.

وأشكركم جزيل الشكر.

ثبت المصطلحات

- قياس	analogie
- محاججة	argument
- مقوّمات سياقية	classémes
- معرفة	cognition
- سياق	contexte
- الوجاهة	compétance
- المبهمات (المعيّنات)	déictiques
- خطاب سياسي	discours politique
- إضمار	ellipse
- موسوعة	encyclopédie
- الإطار	frame
- اللاتساق	incompatibilité
- المقصدية	intentionnalité
- مؤول	interprétant
- التأويل	interprétation
- مؤول دينامي	interprétant dynamique
- مؤول نهائي	interprétant final
- مؤول مباشر	interprétant immédiat
- تشاكل	isotopie
- استعارة	métaphore
- استعارة تصورية (مفهومية)	métaphore conceptuelle
- استعارة اتجاهية	métaphore ontologie
- استعارة بنيوية	métaphore orientation

métaphorisant	- المستعار منه
métaphorisé	- المستعار له
modèle	- نموذج
moral	- أخلاقي
personnification	- تشخيص
pertinence	- الوجاهة
présupposition	- الاقتضاء
représentation encyclopédique	- تمثيل موسوعي
ressemblance	- المشابهة
schéma	- الخطاطة
script	- المدونة
sémes	- المقوّمات
sémes afférents	- المقوّمات العرضية
sémes inhérents	- المقوّمات الذاتية
sens lexical	- المعنى المعجمي

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية ورش

1- بوتفليقة، عبد العزيز: خطب ورسائل، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للطباعة، 1999.

أولا: المعاجم:

1- الزمخشري، أساس البلاغة، ط1، دار صادر، بيروت، 1992.
2- ابن منظور: لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، (د.ت).
3- مونقانو، دومينيك: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط1 دار الاختلاف، الجزائر، 2005.

ثانيا: المراجع باللغة العربية

1- الإدريسي، رشيد: سمياء التأويل، ط1، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء 2000.
2- أوگان ،عمر: اللغة والخطاب، (د.ط)، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
3- بلمليح، إدريس: القراءة التفاعلية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000.
4- ابن تيمية، تقي الدين احمد: شرح العقيدة الواسطية، ط2، دار الحكم الدينية، القاهرة 2003.
5- جحفة، عبد المجيد: مدخل إلى الدلالة الحديثة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب 2000.
6- الحراصي، عبد الله: دراسات في الاستعارة المفهومية، (د.ط)، مؤسسة عمان للصحافة، عمان، 2002.
7- الحنصالي، سعيد: الاستعارات والشعر العربي الحديث، ط1، دار توبقال للنشر المغرب، 2005.
8- خطابي، محمد: لسانيات النص (مدخل الى انسجام الخطاب)، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.

9- ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993.
10- أبو زيد، نصر حامد: النص والسلطة والحقيقة، ط1، المركز الثقافي العربي 2000.
11-ـــــــــــــــــ- الخطاب والتأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، 2000.
12- سليم، عبد الإله: بنيات المشابهة في اللغة العربية، ط1، دار توبقال للنشر المغرب، 2001.
13- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: إستراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، 2004.
14- الطبري، ابن جرير: جامع البيان في تأويل آي القرآن، (د.ط)، ج1، دار الفكر لبنان، 1984.
15- طه، عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي المغرب، 1998.
16-ـــــــــــــــ- سؤال الأخلاق، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000.
17- العثيمين، محمد صالح: شرح الأصول من علم الأصول، ط1، دار العقيدة، القاهرة 2003.
18- أبو العدوس، يوسف: الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، دار الأهلية للنشر عمان، 1997.
19- العروي، عبد الله: مفهوم الايدولوجيا، ط6، المركز الثقافي العربي، المغرب 1999.
20- عشراتي، سليمان: الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، (د.ط)، دار الغرب للنشر، وهران، (د.ت).
21- عشير، عبد السلام: عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
22- الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، ط1، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت 2005.

23- بن كراد، سعيد: السميائيات والتأويل (مدخل لسميائيات ش س بورس)، ط1 المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
24- الماكري، محمد: الشكل والخطاب (مدخل لتحليل ظاهراتي)، المركز الثقافي العربي 1991.
25- مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب 1986.
26- ـــــــــــ - مجهول البيان، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1990.
27- ـــــــــــ - التلقي والتأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1994.
28-ـــــــــــ- التشابه والاختلاف، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1996.
29- ـــــــــــ- النص من القراءة إلى التنظير، ط1، المكتبة الأدبية، 2000.
30- مطر، أميرة حلمي: الفلسفة السياسية، ط6، دار غريب، القاهرة، 1999.

ثالثا: المراجع المترجمة

1-ايكو، أمبرتو: التأويل بين السميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بن كراد، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000.
2-ـــــــــــ- السميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.
3- بورخيس، خورخي لويس: صنعة الشعر، تر: صالح علماني، ط1، المدى، 2007.
4- حمودي، عبد الله: الشيخ والمريد (النسق الثقافي للسلطة بالمغرب)، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000.
5- روبول: استعارات الخطاب الإيديولوجي، تر: محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي اللغة ضمن دفاتر فلسفية، ط4، دار توبقال للنشر، المغرب، 2005.
6- ريتشاردز، أيفور أرمسترونغ: فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي، ناصر حلاوي (د.ط)، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
7- ريكور، بول: نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، ط1 المركز الثقافي العربي المغرب، 2003.

8- ـــــــــــ- من النص الى الفعل، تر: محمد برادة، حسان بورقية، ط1، دار الأمان، الرباط، 2004.
9- سلقرمان، ج هيو: نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسين ناظم، علي حاكم صالح، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002.
10- طاليس، أرسطو: فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، (د.ط)، دار الثقافة، لبنان (د.ط).
11- فان، ديك: النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2000.
12- كريستيفا، جوليا: علم النص، تر: فريد الزاهي، ط2، دار توبقال للنشر، المغرب 1997.
13- لايكوف، جرج وجونسون، مارك: الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1996.
14- لايكوف، جرج: حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة، عبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، المغرب، 2005.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية

1- Benveniste, Emil : problème de linguistique générale, T02, Gallimard,Pparis 1974.
2- Bordas, Eric : les chemin de la métaphore, PUF, 2003.
3- Johnson, Mark: the body in the mind, UCP, Chicago 1987.
4 ـــــــــ Moral imagination: implication of cognitive, Science of ethic, UCP, 1993.
5- Johnson, Marc, Lakoff, George: philosophie in the flesh, Basic books, New York, 1999.
6- Kristeva, Julia: la révolution de la langage poétique, l'avant-garde à la fin de 19 siècle: Lautréamont et Mallarmé, édition du seuil 1974.
7- Meyer, Michel : question de rhétorique, livre de poche 1993.
8- Perlman, Chaim : l'empire rhétorique, Librairie Philosophie Vrin, 2 éditions 2002.
9- Searle, J. R : sens et expression, Les édition de Minuit, Paris 1979.
10- Syperber, Wilson : Ressemblance et communication, Folio-essais 1992.

خامسا: الموقع الإلكتروني

- www.bouteflika2009.com

مقدمة.....1

الفصل الأول: الاستعارة وحدود التأويل

تمهيد
1- نظرية الاستعارة.....9
1.1- النظرية الاستبدالية 9
2.1- النظرية التفاعلية 13
1.2.1- تصوّر "بلاك" (Max Black).....13
2.2.1- تصوّر ريتشاردز (I.A.Richards).....14
3.2.1- تصوّر بول ريكور (P. Ricœur) 17
4.2.1- تصوّر جرج لايكوف ومارك جونسون 21
2- تأويل الاستعارة.....28
1.2- الاستعارة والتداولية.....28
1.1.2- نظرية التلفظ 29
2.1.2- مقبولية الاستعارة 31
3.1.2- المقصدية 33
4.1.2- نموذج المشابهة والتواصل 35
2.2- الاستعارة والاتجاهات السميائية.....37
1.2.2- بيرس والسيرورة التأويلية 38
2.2.2- رمزية الاستعارة عند جوليا كريستيفا.....42
3- التأويل والموسوعة.....44
1.3- مفاهيم لتحليل الموسوعة 44
1.1.3- نموذج الموسوعة الجزئية 46
2.1.3- نموذج "بوتنام" 47
3.1.3- نموذج "بيطوفي" و"نوباور".....48

2.3- الاستعارة والموسوعة.....50
خلاصة.....52

الفصل الثاني: دور الاستعارة في تجسيد المفاهيم وتشكيل الواقع في الخطاب السياسي

تمهيد
1) التقنيات الحجاجية في الخطاب السياسي.....54
1.1- الآليات الذاتية.....55
2.1- الآليات الموضوعية.....56
3.1- الآليات الواقعية.....57
2) فاعلية الاستعارة في الخطاب السياسي.....59
1.2- تجسّد المفاهيم.....59
2.2- استعارية النسق التصوري.....61
3.2- التحليل بالاستعارات الكبرى (جرج لايكوف ومارك جونسون).....64
1.3.2- الاستعارات الوجودية (الأنطولوجية).....65
2.3.2- الاستعارات الاتجاهية.....72
3.3.2- الاستعارات البنيوية.....76
4.2-التحليل بالاستعارات المفهومية.....79
5.2- التحليل بنماذج العلم المعرفي.....90
6.2- التشاكل والتباين.....97
3) تظفير الخطابين الديني والسياسي.....108
4) حجاجية الاستعارة.....112
5) دور الاستعارة في تجسيد مفاهيم الأخلاق والإيديولوجيا.....117
1.5- تحليل الجوهر الاستعاري لمفاهيم الأخلاق.....118
5.2- تجسّد الإيديولوجيا.....124
خلاصة.....127
خاتمة.....128

الملاحق 130
ثبت المصطلحات.....146
قائمة المصادر والمراجع.....149
فهرس الموضوعات.....154